

1985



جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

الرقم التسلسلي :

كلية الآداب واللغات

رقم التسجيل : 13/MD12/298

قسم اللغة والأدب العربي

المصطلح النقدي من خلال كتاب " نظرية النص "

لحسين خمري

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر

تخصص : نقد أدبي حديث

الفرع : أدب عربي

الميدان : لغة وأدب عربي

إشراف الأستاذ :

اعداد الطالبة :

_ بوزيد رحمون

_ سمية جعيج

تاريخ المناقشة : 2015/05/28

أمام لجنة المناقشة :

رئيسا	أستاذ مساعد أ	عز الدين عماري
مشرفا ومقررا	أستاذ مساعد أ	بوزيد رحمون
ممتحنا	أستاذ مساعد أ	حياة بوخلط

السنة الجامعية : 2015/2014

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كلمة شكر

بداية الشكر لله الذي وفقني لإتمام ثمرة جهدي وأعانني على إنارة بصيرتي إلى مواصلة طريق الفلاح، بما فيه الخير والفائدة لنا ولمجتمعنا، والتوفيق منه لهذا العمل المتواضع الذي أضعه بين أيدي الباحثين في مجال هذه الدراسة، راجية منه التوفيق والسداد إنه نعم المولى ونعم النصير.

أتوجه بجزيل الشكر والامتنان إلى كل من ساعدني من قريب أو من بعيد في انجاز هذا العمل وفي تذليل ما واجهته من صعوبات، وأخص بالذكر الأستاذ المشرف بوزيد رحمون الذي لم يبخل علي بتوجيهاته ونصائحه القيمة التي كانت عوناً لي في إتمام هذا البحث فجزاه الله عني كل خير.

سمية

الإهداء

نحمد الله تعالى الذي قدرنا على شرب جرعة ماء من هذا العلم الواسع ، فالعلم لا يتم إلا بالعمل ، أهدي ثمرة جهدي التي طالما تمنيت إهداءها وتقديمها في أحلى طبق :

إلى صاحب الفردوس الأعلى وسراج الأمة المنير وشفيعها النذير البشير

... محمد (صلى الله عليه وسلم) فخرا واعتزازا...

إلى من أرضعتني الحب والحنان ...

إلى رمز الحب وبلسم الشفاء ...

إلى القلب الناصع بالبياض ... والدتي الحبيبة ...

إلى من جرع الكأس فارغاً ليسقيني قطرة حب ...

إلى من كلت أنامله ليقدّم لنا لحظة سعادة ...

إلى من حصد الأشواك عن دربي ليمهد لي طريق العلم ...

إلى القلب الكبير ... والدي العزيز...

إلى القلوب الطاهرة الرقيقة والنفوس البريئة إلى رياحين حياتي ...إخوتي و أخواتي ...

إلى الذين بذلوا كل جهدٍ وعطاء لكي أصل إلى هذه اللحظة ... أساتذتي الكرام...

إلى كل من وسعتهم ذاكرتي و لم تسعهم مذكرتي ...

إلى كل زملائي و زميلاتي في قسم الماستر تخصص نقد أدبي حديث فوج 3 ...

سمية

مقدمة

إن من أهم الاشكاليات التي يواجهها الدارس في الفكر العربي المعاصر في المجال النقدي على وجه الخصوص، كيفية تداول المصطلحات والأبنية الدلالية وإعمالها في النصوص.

فإشكالية اشتغال المصطلح على النص، وما ينتج عنه إسقاط مفاهيمي يلقي بدوره على مصداقية المنهجية المتبعة في العملية النقدية، فطريقة تداول المصطلحات في الفكر العربي المعاصر إلى يومنا هذا ما زالت تطرح اشكاليات عدة لا يمكن تجاهلها وهو ما يفرض ضرورة إخضاع نتائج هذا الاشتغال المصطلحي للنقد، والمتمأمل في واقع الخطاب النقدي سيقف وبشكل مباشر على معالم شبكة مصطلحية واسعة يبني عليها جهازه الاصطلاحي، هذه المصطلحات التي وفدت إلى ثقافتنا النقدية عبر المثاقفة غير أن انتقالها كان لها أثر سلبي على مستوى توظيفها في الممارسة النقدية وحتى في تناول خطاب النقد .

في حين أن هذه المصطلحات انتقلت إلينا محملة ومشحونة بحمولة مفاهيمية كبيرة سواء كانت على المستوى الفلسفي أم التاريخي وأمسى خطاب النقد العربي المعاصر في ظل هذا الواقع يعيش أزمة حقيقية لعل أبرز مظاهرها فقدانه لخصوصيته وحتى هويته الفكرية، وموضوع دراستنا يدور في هذا الفلك ومن هذا المنظور اخترت أن أمارس قراءة مصطلحية في مدونة حديثة لناقد جزائري "حسين خمري" والمعنونة بنظرية النص (من بنية المعنى إلى سيميائية الدال).

ولهذا خصصت الدراسة لمعالجة المصطلح النقدي من خلال نظرية النص لحسين خمري، ومن زاوية بحثية حاولت أن أخضع خطاب الناقد للنقد وتبيان المرجعية التي يصدر عنها البحث والباحث معا وتوصلنا إلى هذه الغاية بفحص الشبكة المصطلحية التي يشتغل عليها الناقد في مدونته، ولأن الدراسة المصطلحية تعتمد على رسم الحدود وضبطها وتوضيح الإطار الذي تتحرك فيه المصطلحات كاشفة عن الروح التي تسكن المصطلح وتتحكم تبعا لذلك في مسار دلالاته وما يحيل إليه فإنني حاولت الاستقصاء عن مدلول المصطلح النقدي بصفة عامة ومصطلح النص بصفة خاصة، ولهذا فقد صدر بحثي عن اشكالية أخصها في ما يلي: ماهو مفهوم المصطلح النقدي؟ وماهي الحلول والمقترحات للحد من اشكالية المصطلح النقدي؟ وكيف تناول الناقد مصطلح النص بالدراسة؟ وماهي المرجعيات التي تؤطر مساره الاصطلاحي والمفاهيمي على مستوى عمله النقدي؟.

هذه الأسئلة التي شغلنتني وأثارت في حب المغامرة البحثية ولذلك تأسس بحثي على سببين رئيسين:

سبب ذاتي: يتمثل في ميولي الخاصة تجاه الموضوع باعتباره موضوعا نقديا يشغل النقد العربي المعاصر، ولأن اهتمامي ضمن البحوث النقدية فإنني وجدت هذه الدراسة ما يذكي رغبة المشاركة في موضوع كهذا وقد وجدت فيه فرصة لاكتشاف القدرات الذاتية، وهي أيضا فرصة تتيح لي سبل الاطلاع والقراءة التي تغذي الذهن وتزيد شخصية الباحث وعيا بحقيقة الاشكالات التي تعاني منها منظومتنا النقدية .

وسبب موضوعي: يتمثل في تقديم بحث أحاول أن أقسمه على أسس علمية في إطار اعداد مذكرة لنيل شهادة الماجستير، وأحاول ما استطعت أن ألتزم الموضوعية التي تضي طابع العلمية على عملي هذا وبعد النظر والتأمل في طبيعة المنهج الذي يمكن أن يتماشى وطبيعة الدراسة المصطلحية وجدت أن اعتمد على المنهج "الوصفي" باعتباره المنهج الأنسب لهذه الدراسة.

ووفق الرؤية المنهجية الوصفية قسمت هذه الدراسة إلى خطة قامت على الآتي: مقدمة ثم تلا المقدمة مدخلا عرضت فيه للناقد وكتابه، كما تضمن المدخل التعريف بالناقد حسين خمري والمدونة شكلا ومضمونا ليكون الفصل الأول دراسة نظرية نقف من خلالها على المصطلح النقدي المفهوم، النشأة والآفاق، أما الفصل الثاني دراسة تطبيقية والمعنون بـ "المصطلح النقدي من خلال كتاب نظرية النص لحسين خمري" حيث وقفت من خلاله على مصطلح النص في الثقافة العربية اللغوية والنقدية وكذا دلالة هذا المصطلح في الثقافة الغربية كما تضمن هذا الفصل كذلك علاقة مصطلح النص بالمصطلحات الأخرى التي وردت في المدونة على أساس ورودها مقترنة به، وفي هذا الفصل وقفت على قراءة في المرجعيات التي تتحرك من خلالها المدونة، كما أجلت لنا الرؤية التي ينطلق منها صاحب المدونة .

وقد اقتضت مني رحلتنا البحثية أن أمضي في فضاء القراءة والمعرفة وأن أفتح الكتب وأطلع على المراجع التي نرى فيها عونا على الفهم، وكان من أهم المراجع التي اعتمدها هي: إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد ليوسف وغليسي، المرايا المحدبة لعبد العزيز حمودة والنص الغائب لمحمد عزام.

هذا وقد واجهتني صعوبات منها كثرة المراجع المتخصصة وكذلك حجم الكتاب كان كبيرا جدا بالإضافة إلى كثافة معلوماته، ونظرا لأن الوقت كان محدودا هذا ما حال بيننا وبين دراسته دراسة عميقة ومركزة .

وفي الأخير أتوجه بالشكر الجزيل إلى أساتذة كلية الآداب واللغات دون استثناء، وأخص بالذكر الأستاذ الفاضل: بوزيد رحمون، الذي أشرف على هذا البحث وتحمل قسطا من عناء إنجازه بالتوجيه والتصحيح وبتيسير سبل الحصول على المراجع .

ولقد حرصت كلَّ الحرص على الإمام بعناصر البحث قدر المستطاع، فإن أصبت ومال البحث إلى كماله، فذلك ما أردت فأحمد الله على ذلك، وإن جانبت الصواب وتقاعس البحث إلى النقص فذلك لأنني بشر فأستغفر الله على ذلك.

المدخل:

الناقد وكتابه

أولاً : التعريف بالناقد حسين خمري

حسين خمري ناقد جزائري حاصل على دكتوراه في الأدب الحديث من جامعة السوربون - باريس - صدر له ¹:

- بنية الخطاب الأدبي _ الجزائر .
 - بنية الخطاب النقدي _ بغداد .
 - فضاء المتخيل _ دمشق _ الجزائر .
 - الظاهرة الشعرية العربية الحضور والغياب _ دمشق .
 - سرديات النقد : في تحليل آليات الخطاب النقدي المعاصر .
- والعديد من الكتب والترجمات الأخرى "كتاب عن الترجمة للفيلسوف بول ريكور"، يعمل حالياً أستاذا بجامعة قسنطينة ومشرفاً على عدة مجلات وأبحاث في مجال النقد والدراسات الأدبية والترجمة " نظريات القراءة وتلقي النص الأدبي " .

ثانياً : التعريف بالكتاب**1- توثيق الكتاب :**

- **العنوان الرئيسي:** نظرية النص.
- **العنوان الثانوي:** من بنية المعنى إلى سيميائية الدال.
- **المؤلف:** الدكتور حسين خمري .
- **دار النشر:** الدار العربية للعلوم ناشرون و منشورات الاختلاف.
- **الطبعة وتاريخ النشر:** الطبعة الأولى 1428 هـ / 2007 .
- **مكان النشر:** بيروت - لبنان - .
- **نوع الكتاب:** إصدار قديم .
- **شكل الكتاب:** ورقي، غلاف عادي، ضخم الحجم .
- **عدد الصفحات:** يحتوي الكتاب على أكثر من خمس مئة صفحة .

¹ حسين خمري، نظرية النص (من بنية المعنى إلى سيميائية الدال)، دار العربية للعلوم ناشرون و منشورات الاختلاف، ط1 ، لبنان، 2007، ص 504) وسأشير إليه بالمصدر في الصفحات القادمة).

- التنضيد وفرز الألوان: أبجد غرافيكس.
- الطباعة: مطابع الدار العربية للعلوم، بيروت .

2- سيميائية الغلاف :

كتاب أكاديمي من الحجم الضخم جاءت كتابة العنوان بالخط الطبشوري الكبير الموضح وجاء اسم المؤلف تحت اسم دار النشر اللبنانية والجزائرية وهنا لإبراز قيمة الدارس في ذاتهما وما تنشرانه من نوعية للكتب، إذ عرفنا سر الكتاب الجيد حيث إنها لا تهتم بالرداءة أي قيمتها فوق كل اعتبار، ثم جاء أسفل اسم المؤلف عنوان الكتاب نظرية النص، وجاء بالخط الطبشوري ذات اللون الأحمر لإعطاء طابع إشهاري وإعلامي لعنوان النص يجذب أنظار القراء، ثم أدرج تحته عنواناً ثانوياً "من بنية المعنى إلى سيميائية الدال" لشرح نظرية النص كما لا أتفق على مصطلح النظرية لأن دلالة النص أكثر من نظرية النص انطلاقاً من مصطلحات النص ب *texte* وخطاب أو الكتابة هي للمفهوم المعاصر .

إن نظرية النص تركيب مترجم إلى العربية ولون الغلاف أبيض دلالة على وجود الكثير مما يمكن أن نكتبه حول موضوع النص، وفي أسفله لوحة مشكلة من أربع مربعات ملونة بالأزرق، واللون الذهبي بالإضافة إلى اللونين الرمادي والبني، وهي في جميعها ألوان معروفة بألوان باهتة ليست قاطعة وقراءتها تدل على عدم وضوح المعنى في النصوص واختلاف تأويلها من قارئ إلى آخر، بالإضافة إلى أن الألوان المتداخلة التي تعطينا ألوان أخرى "نصوص جديدة"، ثم تعلوهم دائرة لونها أصفر وهي تدل على الضوء كأنها شمس مضيئة لمعنى النص المدون على الرغم من أنها تدل على المناهج الحديثة التي تدرس النصوص وتبحث عن المعنى المسكوت عنه سيميائياً وتؤوله شكلاً ومضموناً .

أما الغلاف الخلفي ورد فيه نص مقتبس من مقدمة الكتاب، كما أن داري النشر لم تقم بتقديم الكاتب في هذه الصفحة واكتفت كعادتها أن تشير إلى أنه كاتب من الجزائر، ثم أوردت مساحة إشهارية خاصة بهما .

3- قراءة دلالية للعنوان :

إلى أي مدى جسّد العنوان مضمون المدونة؟ ولعل هناك انسجام بينه وبين ما ورد فيه؟ ما مدى درجة الوضوح التي لقيها بين مصطلحاته والفضاء الإصطلاحي الذي شغل داخل المدونة؟. إن هذه الأسئلة بلا شك تقتضي الوقوف على دلالة المصطلحات التي أبني عليها العنوان ولعل أول مصطلح هو نظرية النص .

نظرية النص :

مصطلح نظرية : هي عبارة عن مجموعة أفكار ومبادئ تنهض على أساس ملاحظة عدد من الظواهر سبق اكتشافها بواسطة الملاحظة والتجربة والممارسة، وهي الطريق الوحيد لإثبات النظرية¹.

ونفهم من ارتباط مصطلح النظرية بمصطلح النص، إن هذا الأخير هو الميدان التجريبي والممارساتي الذي يقصده الدكتور حسين خمري إذ أن حماية الأفكار والمبادئ المنبسطة تقوم على معاينة النص كظاهرة قابلة للملاحظة والتجربة والحلول إلى قوانين تحكمها ولهذا فمصطلح نظرية النص كما ورد في معجم المصطلحات اللغوية والأدبية الحديثة يصل إلى أنه:

" مصطلح يستخدم للدلالة على النقد المباشر لكل لغة وصفية ومراجعة لخصائص الخطاب وتحديد سمات النص وقواعده من حيث الشكل أو الجنس ومن حيث الكلام ودور الألفاظ"².

أما العنوان الفرعي فقد ورد بالصيغة التالية: من بنية المعنى إلى سيميائية الدال، فما طبيعة هذا التخصص الذي أردف به العنوان الكبير؟ .

البنية : كل مكون من ظواهر متماسكة يتوقف كل منها على إعدادها ولا يمكنه أن يكون ما هو إلا بفضل علاقته لما عده³.

السيميائية : إن القول بمصطلح (Sémiotique) يستدعي حتما إدراك المفهوم الإغريقي للحد (Sémeion) الذي يحيل على سمة مميزة (Marque distinctive)، أثر (Trace)، قرينة

¹ سمير حجازي، المتقن في معجم المصطلحات اللغوية والأدبية الحديثة، دار الراتب الجامعي، بيروت، لبنان (د.ط ، د.ت)، ص 225.

² المرجع نفسه، ص 229.

³ المرجع نفسه، ص 203.

(Indice)، علامة منذرة (Signe précurseur)، دليل (Preuve)، علامة منقوشة أو مكتوبة (Signe gravé ou écrit)، بصمة (Empreinte)، تمثيل تشكيلي (Figuration)¹.

وهذا المصطلح جاء وليد مخاض تاريخي وسياق معرفي متزامن وفي إطار ثقافتين مختلفتين هما الثقافة الأمريكية و الأوروبية، ويمكن أن نحيل إلى هذا الأعلام البارزين والذين وضعوا حجر الأساس لهذا العلم وهما:

العالم اللغوي السويسري الشهير " فرديناند دي سوسير " (1857-1913)، والفيلسوف الأمريكي " شارلز سندرل بيرس " (1839-1914).

أما اسهامات بيرس فتظهر من خلال تبشيره بعلم جديد يضفي شموليته على علم اللسانيات، يقول سوسير: " إن اللغة نسق من العلامات يعبر عن أفكار، ومنه فهي مشابهة للكتابة، وأبجدية الصم و البكم، والطقوس الرمزية وأشكال المجاملة والإشارات العسكرية... الخ "².

وإذا قمنا بحفريات معرفية حول هذا المصطلح سنتفق على تعدد استعمالاته وتعدد مجالاته إلى حد يمكن القول معه إن العالم أصبح نسيجاً من العلامات .

تقول كريستيفا : " نحن مدينون فعلاً لشارلز سندرل بيرس بالاستخدام الحديث لمصطلح السيميائيات "³.

ومع هذا الفيلسوف صارت السيميائية اختصاصاً مستقلاً حقيقة، إنها بالنسبة إليه إطار مرجعي يضم كل دراسة أخرى " في الرياضيات أو الأخلاقيات أو الماورائيات أو الصوتيات والكيمياء أو التشريح أو الاقتصاد أو علم النفس أو تاريخ العلوم، لقد انحرف كل هذه العلوم في فضاء إعلامي فسيح " ⁴.

ما يمكن أن نسجله في هذا الإطار أن العنوان يقوم على رؤية ذات طابع انتقالي تحولي، فهو من جهة يعبر عن التحول من الرؤية التقليدية التي قامت عليها التوجيهات الكلاسيكية التي سبقت ظهور علم النص والمتمثلة في نظرية الأدب، وهذا باتجاه علم النص الذي يستند جهازه المفاهيمي من النظريات اللسانية والكيميائية الحديثة، حيث يتحول النقد من الأسئلة الكلاسيكية

¹Julia Kristeva : La Révolution du langage poétique, Edition du Seuil, 1974, p 22.

² يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي، جسر للنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة الأولى، 1428 هـ _ 2007م، ص 94.

³ جوليا كريستيفا، علم النص، تر، فريد الزاهي، دار توبقال، الدار البيضاء، 1991، ص 15 .

⁴ يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي، المرجع السابق، ص 95 .

التي لا يتجاوز البعد النظري والتأملي للظاهرة الأدبية إلى الأسئلة التي تقارب النص من منظوري تجريبي أي كظاهرة قابلة للمعاينة على مختلف أصعدة النص، والتحول من مقولات البلاغة المعيارية إلى المرونة السيميائية للدال النص وانفتاحه على فضاء القراءة الفاعلة، والمنتجة التي يخوض غمارها القارئ بمعية النص والنص ذاته في رحلة كشف مستمر.

ثالثاً : تلخيص الكتاب

بدأ الناقد حسين خمري فصول كتابه بمقدمة، حيث يعرض فيها الزاوية التي انطلق منها في رحلته البحثية، مشيراً إلى أنه حاول أن يقيم خطاباً موضوعياً، يتسم بالموضوعية ودقة النظر بعيداً عن الطابع الاستعراضى الذي يقوم به بعض الباحثين في تناول معالجة القضايا النقدية والأدبية، معللاً ذلك بأن التوجه نحو القصد مباشرة والتعامل العلمي مع موضوع الدراسة هو الذي يضفي على البحث طابعه العلمي ويجنبه السقوط في فخ الإيديولوجيا ويقيه كذلك العثرات الفكرية.

ثم يعرض الدكتور خمري موضوعه بصورة مباشرة ضمنه فيها بشكل أسئلة تعمل على إثارة الذهن وحثه على التفكير الجاد، كما تنبه إلى الأفق الواسع الذي يمضي فيه الباحث والبحث معاً، وهذا من خلال طرحه السؤال: لماذا النص بالذات؟ والذي تتدرج تحته أسئلة تدور في فحوى الخطاب النقدي الذي يمارسه الباحث والناقد.

وأشار الدكتور إلى أن بحثه قد مر بمراحل ثلاثة هي مرحلة التلقي فمرحلة التأويل ثم مرحلة التبليغ، ويعرض الباحث إلى واقع المشهد النقدي وسماته السلبية التي تعتريه في تمثل المنجزات النظرية والنقدية للمنظومة النقدية العربية ولتوضيح على نحو ما الانتقال الذي مورس في حقل الدراسات النقدية حين تم التأسيس لنظرية النص كبديل لنظرية الأدب التقليدية، وهنا نلمح الارتباط والاحالة الأولى لعلاقة العنوان بمحتوى المدونة وهي علامة إيجابية إذ أنها تبعث فينا رغبة البحث وتشعرنا بالاطمئنان¹.

ثم يشير الناقد إلى طبيعة المناهج الحدائثية واسما إياها بالنسبية، وهذا كما يرى أنها قابلة للنظر والمراجعة المستمرة، وهذا ما ينزع عنها هالة القداسة.

¹ حسين خمري، نظرية النص، ص 07-14.

ويأتي في نهاية مقدمته مركزا على مصطلح علم النص باعتباره محور دوران وفلكا مضامين المدونة موضوع الدراسة مبنيا أن مناط اهتمامه في هذا البحث هو دراسة النص كمفهوم نقدي إجرائي مثلتها بذلك النظرة السيميائية في طرحه.

حيث قسم هذا الأخير الى أربعة فصول مثل كل منها دراسة منفردة، وهذا وصف عام لما جاء تحت عناوين الفصول.

الفصل الأول : بعنوان سيميائية النص

تناول الناقد في هذا الفصل إشكالية النص وفضاء النص بالإضافة إلى المحاولات التأسيسية التنظيرية.

تتخطى نظرية النص حدود الرؤية التقليدية للأدب، وتتجاوز مضمون الخطاب الأدبي، لتذهب إلى تحليل مكوناته الجمالية والبلاغية واللغوية وتتناوله ككينونة بنيوية ولغوية مستقلة، مؤلفة من منظومة سيميائية متواصلة، يتم سبر أغوارها في سياق تداولي، عبر تفكيك شفراتها المضمرة والظاهرة، واحترام كثرتها وتعددتها وتناقضها¹.

هنا يطرح النص نفسه كإشكالية نقدية معقدة، تجعله يتميز ويختلف عن مفهوم الأدب كما طرحه سارتر في نهاية الأربعينيات، والذي استند إلى رؤية أيديولوجية للعمل الأدبي، تطورت مع الناقد "رينيه ويليك" إلى ما أسماه نظرية الأدب، التي حاولت الابتعاد عن الفكر التقليدي المثالي، لكنها ظلت مشروطة بفهم معرفي وثقافي راسخ للظاهرة الأدبية .

ويشير الناقد الجزائري حسين خمري في كتابه " نظرية النص " الصادر عن الدار العربية للعلوم 2007، إلى أن نظرية الأدب ظلت ردا من الزمن أسيرة مقولات الفلسفة اليونانية، وعلم الجمال الكلاسيكي، ممثلا ب" كانط وكروتشه"²، ولم تستطع أن تتخلص من النظرية المثالية للفن، حتى أتت بداية السبعينيات، وأسس الناقد " فان دايك" ما يسمى بعلم النص، والذي يقدم الأدب " بوصفه منظومة نصية داخل نموذج ثقافي محدد " خاضعة لمنطق داخلي قوامه علامات وإشارات لغوية تفرزها ثقافة معينة.

¹ حسين خمري، نظرية النص، ص17.

² المصدر نفسه، ص22.

وكان تحول النص من السياق النفسي والاجتماعي والثقافي إلى السياق السيميائي واللغوي والبلاغي، بمثابة نقلة نوعية في تاريخ النقد الحديث، ويات ينظر للأدب بوصفه حقلا من علامات لغوية متفاعلة، تتناغم وتتقاطع في تنسيقه وتنظيم مختلف عن الواقع.

أي أن نظرية المحاكاة سقطت، ولم تعد وحدها صالحة لتفسير النص وعلاقته بالعالم، وقد تأثرت هذه النظرية كثيرا باللسانيات البنيوية التي تقوم على تحليل مظاهر العلامة الأدبية ونشاطها السيميائي، ومنها استمد علم النص استراتيجيته وأدواته، ويميز خمري بين نظرية النص، التي هي تأمل نظري في الخطاب الأدبي، وبين علم النص الذي هو قراءة لهذا الخطاب ووظيفته هي " تمثيل " و " قراءة " قراء النص، ومعرفة تحولات المعنى، ويقوم بتصنيف ملفوظات النص، في لحظة تاريخية معينة، حيث يأخذ من نظرية النص مجالا لنشاطه، ويقوم بتفكيك الأسس التي ينهض عليها المعنى في غيابه وحضوره، وهذا يعني أن نص هو في الواقع قراءة سيميائية، بلاغية، للواقع، مثلما هو قراءة للنصوص الثقافية الموجودة في الحقل الثقافي العام¹.

ويعرف " خمري " مفهوم النص بأنه: نظام إحالي يتجاوز الدلالة المعجمية وهذا يجعل منه مفهوما إشكاليا لسببين: الأول عدم استقراره والثاني محاولة كل حقل من حقول المعرفة استغلاله لأهداف إجرائية، إن ما يجعل النص نصا ميزتان اثنتان هما " التركيب " وهذه تتم على مستوى الشكل أي العلاقات بين الكلمات و " الاتساق " وهذه تمثل الخيط المعنوي الذي يربط بين الكلمات، وتتعلق بمستوى الدلالة².

والتركيب في مستوى البنية يعني "التماسك" (Cohesion)، وهذا يتم لوصف علاقة الوحدة على مستوى البنية الصغرى للنص، في حين أن الاتساق يشير إلى مفهوم "الانسجام" (Coherence) وهذا يتم لوصف الوحدة على مستوى البنية الكبرى، ويؤكد خمري أن سمة انسجام النص ليست مجرد عنصر زخرفي، بل تتوزع على كامل مساحة النص ونسيجه. من هذا المنظور وبسبب اسهامات رولان بارت الذي نجح بتقديم " النصوصية " كبديل للمحاكاة، عبر قوله إن الكتابة لم تعد مجرد تسجيل لأحداث تجري أو فضاء للتعبير الذاتي الوجداني، فإن النص نجح

¹ حسين خمري، نظرية النص، ص 31.

² المصدر نفسه، ص 46-48.

بتقديم نفسه كسلسلة من الاقتباسات والإحالات التي تكمن وظيفتها في الاختلاف الدائم عن الواقع¹.

ويسهب "خمري" في تحليل وظائف النص² مشيراً إلى أن للنص وظيفة تنظيمية باعتباره علامة تتحرك داخل فضاء ثقافي، وله وظيفة اجتماعية تتمثل في أخذ النص للتجربة الحياتية واستثمارها ضمن دلالة معينة.

وله وظيفة تناسية تحدها الجدلية القائمة بين الذات والآخر، وله وظيفة تأشيرية مرتبطة بالأثر الذي يتركه في وجدان القارئ، وله وظيفة جمالية مرتبطة بالمتعة الخالصة التي يولدها، وله وظيفة سيميائية كونه يشتغل بواسطة الرموز والعلامات لإنتاج المعنى، وله وظيفة ثقافية لأن كل نص هو في حقيقته حدث ثقافي، فضلاً عن الوظيفة التواصلية التي تجعل من النص معبراً لاستمرار الحوار بين الكاتب والمتلقي، وهذه الوظائف تتقاطع وتتكامل في لحظة إنتاج النص.

من هنا يركز "خمري" على كيفية وشروط إنتاج النص، فيؤكد أن النص لا يولد من فراغ، بل يتم إنتاجه من خلال النصوص السابقة أو المتزامنة معه، فتارة يقتبس منها، و تارة يضيق إليها طورا يشرحها وطورا يفسرها ويؤولها، كما هو الحال مع النص القرآني، الذي أنتج منذ نزوله، وعلى مدى خمسة عشر قرناً، عددا لا يحصى من التفاسير، بمختلف توجهاتها الفقهية والمعرفية والتاريخية والبلاغية والتي بات ينظر إليها كنصوص موازية، باعتبار أن التفسير هو كتابة عن الكتابة، و تأويل للتأويل³.

ومن النصوص التي أنتجت نصوصاً أخرى أيضاً شروح مقامات الحريري، وشروح ديوان الحماسة، على سبيل التمثيل لا الحصر، وتلعب الترجمة دوراً مفصلياً في تشكيل النصوص وتكاثرها، خاصة أن نقادا كباراً أقروا باستحالة الترجمة الدقيقة، ومنهم من اعتبرها خيانة للنص. فالجرجاني لاحظ أن بنية الجملة تختلف من لغة إلى أخرى، والفرنسي "لاكازن" رأى أن لكل مفردة لا وعياً خاصاً بها يجعل ترجمتها شبه مستحيلة، وطرح الجاحظ فكرة استحالة الترجمة، في حين أشار "ابن قتيبة" إلى صعوبة ترجمة القرآن إلى الألسن الأخرى، وذلك بسبب طبيعة اللغة العربية واتساعها في المجاز.

¹ حسين خمري، نظرية النص، ص 52-53-54.

² المصدر نفسه، ص 67-75.

³ المصدر نفسه، ص 79-90.

من هنا تتعدد وتتنوع الترجمات، مثل ترجمة ربايعات الخيام إلى العربية التي ظهرت في نسخ مختلفة قام بها مترجمون كبار من أمثال وديع البستاني ومحمد السباعي والسيد الهاشمي وجميل صدقي الزهاوي وأحمد رامي¹.

فضاء النص:

ويتصدى "خمري" لمفهوم فضاء النص، ويرى أن تتابع الكلمات والجمل على الصفحة البيضاء يشكل فضاءً معيناً، يعكس الفضاء الأوسع للثقافة التي تتحرك فيه النصوص، وبالنسبة للنصوص ذات البنية الخطية التسلسلية كالحكاية الشعبية، تكون الحركة في شكل سهم، لأن النهاية مرسومة منذ البداية².

ويحلل "خمري" كيف أن البداية والنهاية تمكنان القارئ من العبور من العالم الواقعي المحسوس إلى عالم النص، مشيراً إلى أن فضاء النص لا يتوقف عند النص الواحد. فثمن الهوامش المرفقة التي تدخل في تشكيل فضائه كالإهداء والعنوان والاستهلال والحواشي والرسوم وسواها.

بل إن بداية النص غالباً ما تكون مؤشراً على وجوده وهويته، وهي مرعبة وخطرة، لأن النص حسب ما يذهب إليه يوري لوتمان، منظم "ومتجه ليس باتجاه نهايته ولكن باتجاه بدايته". ونعلم أن الشعر الجاهلي وضع معايير للقصيدة، فالبداية يجب أن تنطلق من الوقوف على الأطلال، ثم التغزل بالحببية، فوصف الرحلة، ثم الصحراء، وقد ثار أبو نواس على البداية الطلية، واعتبرها عرفاً عقيماً كما يوحى بيته الشهير "قل لمن يبكي على رسم درس"، وتقول كتب التاريخ إن امرأ القيس هو أول "من وقف واستوقف وبكى واستبكى".

ويستنتج خمري أن البداية في العمل الأدبي "تعتبر بمثابة المولد للعديد من الدلالات التي تمتد على مستوى فضاء النص"³.

في حين أن "نهاية" النص تمكننا من رسم حدوده وانغلاقه على ذاته، رغم أن نهاية الرواية مثلاً لا تعني عجز الروائي عن مواصلة السرد، بل تعكس رغبته بوضع إطار عام للحبكة، وإذا كانت البداية مفزعة للكاتب، فالنهاية لا تقل عنها رعباً، لأنها آخر الكلام ونهاية كل خطاب، وآخر ما يبقى في الأسماع، كما يقول ابن رشيق.

¹ حسين خمري، نظرية النص، ص 91-98.

² المصدر نفسه، ص 99-100.

³ المصدر نفسه، ص 104-125.

المحاولات التأسيسية النظرية :

ويركز " خمري " على أهم النظريات التي ساهمت بتشكيل مفهوم النص في الثقافة العربية الإسلامية، فالنص تراثيا، جاء ضمن " منظومة مفاهيمية متكاملة ومتداخلة " وهنا سيتعرض الناقد مفهوم النص معجميا لدى ابن منظور (ت 711هـ) في قاموسه لسان العرب، وفقهيا لدى منشئ عاكر الأصول الإمام الشافعي (ت 204هـ)، ثم يعرض لآراء أبي حامد الغزالي، و يعرج على موقف السجلماسي، الذي يرى عدم وجود تناقض بين المجازية والنصوصية، ويحلل آراء ابن حزم(ت456هـ)، الذي يسميه خمري بشيخ الظاهرية، الذي زواج بين مصطلحي النص والظاهر، لكي ينسجم مع اتجاهه الفكري، الراض لكل تأويل باطني.

وكان النص القرآني في كل هذه القراءات يتجلى كمركز استقطاب للتأمل، فكان أن أدخل التراثيون مفهوم النص ضمن منظومة مفاهيمية تتوزع على محورين¹ :

*محور "الوضوح" الذي يشير إلى خصائص أربع هي:الظاهر، النص، المفسر، والمحكم.
*محور "الغموض" الذي يشير بدوره إلى خصائص أربع هي: الخفي، المشكل، المجمل، والمتشابه.

وهذه الخصائص ارتبطت بالتفسير المتعددة للنص القرآني، ويبرز اسم أبو بكر بن أبي سهل السرخسي (ت 490هـ) كأحد أهم المنظرين لقيم الوضوح والغموض في النقد التراثي العربي، وقد اعتمده خمري أساسا للبحث والمعاناة في مبحث أصول النص .

واستكمالا للبحث في الأصول، يدرس الناقد مفهوم دلالة النص ضمن السياق اللغوي والسياق التداولي، مركزا على المكانة التي يحتلها اللفظ داخل كل سياق على حدة، وخاصة فهم الجرجاني لعلاقة الألفاظ بعضها ببعض، وكيف أن اللفظ ليست له دلالة ثابتة، " إنما تتغير دلالاته بتغير مواقعه داخل النسق الجملي " ².

ويستنتج خمري أن الدلالة عند نقاد الأصول تتحرك دوما ضمن حقل معرفي واسع، ابتداءً من علوم العربية إلى المنطق إلى علم الكلام، وذلك في سعي للقبض على المستويات المختلفة

¹ حسين خمري ، نظرية النص، ص131-140.

² المصدر نفسه، ص183-197.

للدلالة، وفي تحليله لسياق النص في المفهوم التراثي يرى أن النقاد القدامى اعتبروا النص القرآني نموذجاً أعلى تتم مقارنته دوماً بما سبقه من بلاغة، وخاصة الشعر الجاهلي.

ويسوق "خمرى" رأي أدونيس في النظرة إلى القرآن الذي قرئ في سياقين، الأول في ضوء البيانية الشفوية الجاهلية، والثاني في ضوء ما يسميه أدونيس "شعرية الكتابة" المتأثرة بنظرية النظم عند الجرجاني، والتي كان أن مهد لها أبو بكر الصولي في كتابه "أدب الكتاب".

أما عن مفهوم بنية النص تراثياً، فيلاحظ خمرى أن العرب في تقديمهم لبنية القصيدة اهتموا بالبيت الواحد وأجزائه ومطالعه ومقاطععه وعلله و زحافاته، وقرروا أن أحسنه ما استقل بذاته وانفرد بمعناه، وساقوا ذلك على فهمهم لبنية النص القرآني، فحددوا بنية الآية، باعتبارها نصاً قصيراً، يقابلها في الشعر البيت الواحد، فالآية القرآنية تتكون من رأس الآية وفاصلتها، والتي قارنها علماء الشعر بالقافية، وتميز تراثياً بدر الدين الزركشي في إضاءة بنية النص القرآني، وابن قتيبة في إضاءة بنية النص الشعري¹.

أما الفصل الثاني فقد تناول فيه الناقد أصول النص الذي ينقسم إلى قسمين هما: نحو النص وقضية التناص، أما القسم الأول "نحو النص" فبدأ يتأسس مع أبحاث "فان دايك" معتمداً على إنجازات النحو التوليدي حيث نجد دارساً مثل فان دايك عند وصفه للشروط المنهجية التي يجب أن يقوم عليها "نحو النص" ينطلق في ذلك من حذر كبير، فهو يعتبر أن النحو التوليدي ليس مكتملاً وضرورياً بالرغم من تبنيه للنموذج المعياري عند تشومسكي ومع ذلك يرى أن النحو التوليدي بعد إدخال بعض التعديلات عليه يمكن أنذاك أن يفيد في إعادة كتابة الجمل المكونة للنص².

¹ حسين خمرى، نظرية النص، ص 200-215.

² المصدر نفسه، ص 219-224.

وبهذه الطريقة يتجاوز " فان دايك" عتبة الخوف من مفهوم " نحو النص " بعد أن ظل مفهوم نحو الجملة سائدا لفترة طويلة، وهذا يعود إلى قناعات مترسخة ترى أن " النص هو الموضوع الحقيقي للسانيات، فكل وصف للجملة يجب أن يتضمن داخله وصفا للنص، وبذلك يصير نحو الجملة ليس سوى جزء من النص " .

ومن هنا تصبح فكرة تأسيس نحو النص Grammaire textuelle ضرورية تتجاوز التحليل المقطعي للجملة وتوسع حقل نشاطها ليشمل مجموع النصوص . وهذا يعني أن الدارس لا يكتفي بالتحليل النحوي للجملة المكونة للنص وتتبع تركيبها جملة جملة، ولكنه يتعين عليه تعيين العلاقات بين الجمل ورصد المقولات النحوية المتواترة لمحاصرة معنى النص أو تركيب المعنى النصي من خلال مجموع الجمل. إن نحو النص لا يمكن أن يستغني عن المنهج التحويلي والنحو التوليدي، وحسب " فان دايك"، وهذا النوع من النحو يتخذ من نحو الجملة نموذجا تحويليا ومن ثمة يتوسع ليشمل البنيات العظمى للنص.

يقول فان دايك" يجب البحث خاصة عن القواعد (التحولات) لربط البنيات العظمى Macro_structure والبنيات الجمالية للنص " ¹.

وإذا أريد لهذا النحو أن يكون أساسيا يجب أن لا يتوقف عند حدود نصوص لغة معينة وثقافة مخصوصة، ولا عند نصوص جنس أدبي محدد، ولكنه يجب أن يكون قابلا للتطبيق على كل أنماط النصوص وفي مختلف الثقافات، ولكن إذا قبلنا بوجود نحو شامل، فإننا لا يجب أن نتقيد بلغات محدودة .

وهذه إحدى المهام الأساسية لنظرية الأدب وعلم النص الذي يطمح " إلى بناء نحو محدد " للنصوص يختص بصورة قطعية بكل النصوص النحوية المتعلقة بلغة معينة مع توصيفها بنيويا "، وبعد ذلك يتم سحب هذا النحو إلى النصوص الثقافية والخطابات غير الأدبية مع مراعاة الخصوصية الثقافية لكل نمط خطابي.

¹ حسين خمري، نظرية النص، ص 225-234.

حيث يميز علماء النص بين مستويين من مستويات النص¹: المستوى الظاهري (أو الظاهري)، وهو ما يطابق في النحو التوليدي المستوى السطحي، ومستوى تولد المعنى وتناسله ومساراته عبر طبقات المعنى، وهو ما يطلق عليه النحو التوليدي المستوى العميق للبنية، هذان المستويان هما في الحقيقة متكاملان، و أن الفصل بينهما لا يتم عمليا إلا لأغراض منهجية، ويمكن تشبيهها بالمدال و المدلول اللذين لا انفصام بينهما إذ تستحيل دراسة عنصر دون الآخر إلا إذا كان ذلك مجرد افتراض.

وقد أسمت جوليا كريستيفا هذين المستويين بالنص الظاهر Phéno_texte وهو ما يقابل المستوى السطحي للبنية و أطلقت على المستوى الثاني اسم النص المولد Géno_texte وهذان المفهومان استعارتهما جوليا كريستيفا من الرياضيات الروسية _ عند غلادسكي _Gladski _ خاصة، ويساعد هذان المفهومان على الصياغة الشكلية للنصوص و التعامل معها باعتبارها أنظمة منطقية شكلية .

ويختلف النص المولد عن النص الظاهر² بالإمكانات التعبيرية وقواعد بنائها (الاستراتيجيات التعبيرية) لكل منها، والأول هو نظريا لا نهائي أما الثاني فهو محدود،" إن النص المولد هو سيرورة توليد لا نهائية ، هو تبديل وتنويع للعناصر الخلاقية الموجودة قبل المعنى، ولا يمكن أن يتكئ على ذات هي دائما ذات المعنى "، وهذه الفكرة تلتقي مع الخطوط العريضة لفكر النحو التوليدي: قواعد التوليد والبنيات اللغوية المسخرة لهذا الهدف: محدودية صيغ الخطاب ولا نهائية المعاني .

كما يؤكد الناقد العلاقة بين النص الظاهر والنص المولد هي علاقة الشكل بالمضمون وإرجاع مفهومي النص الظاهر/النص المولد إلى ميدانها المتعلق بالممارسة النقدية المعاصرة ويشير إلى أن النص الظاهر هو الموجود ضمن النص المولد، وهذا في نظره . وقد تناول رولان بارت هذه العلاقة من منظور مغاير فيرى أن العلاقة بينهما علاقة بناء وعلى هذا يكون النص المولد هو مكان بناء Structuration النص الظاهر .

¹ حسين خمري، نظرية النص، ص 237.

² المصدر نفسه، ص 245-247.

وتوصل الناقد في الأخير إلى أن النص الظاهر يعمل على إظهار تمشهد العلاقات اللغوية أما النص المولد فإنه يقوم بفحص مكونات النص والتعرف على خباياه ومناطقه الغامضة ليكشف في الأخير عن دلالاته¹.

أما القسم الثاني فقد أشار خمري إلى قضية التناص والذي أرجع تاريخية مفهوم التناص " Intertextualité " إلى دراسات المقارنين (الأدب المقارن)، وربما قبل ذلك بكثير. حيث تناولوا هذا المفهوم واستعملوه أداة تحليلية تحت عنوان علاقة التأثير والتأثر وانحصر اهتمامهم في دراسة الموضوعات المشتركة بين نصوص الثقافات المختلفة وكيفيات استقبالها وفهمها، وفي النقد المعاصر، حاولت السيميائيات الحديثة ونظرية الأدب احتواء هذا المفهوم وتوظيفه توظيفا أداتيا/ إجرائيا.

وقد تطور هذا المفهوم على يد جماعة "الشكلانيين الروس" وخاصة عند ميخائيل باختين الذي أطلق عليه اسم "الحوارية" Dialogisme، أي حوار النصوص وصيغ تعالقتها وقد تمت مقارنة هذا المفهوم من قبل الشكلانيين الروس، وخاصة باختين الذي يرى أن الكلمات التي نستعملها هي دائما مسكونة بأصوات أخرى، ويسمي الحوارية كل علاقة تحكم ملفوظا بملفوظات أخرى².

وفي الدراسات اللسانية والسيميائية تتم مقارنة مفهوم "التناص" وفق طريقتين مختلفتين لكنهما متكاملتان: الأولى هي اعتبار التناص خصوصية من خصوصيات النص الأدبي ومكونا أساسيا من مكوناته، أما الثانية فهي التعامل معه بوصفه أداة إجرائية في تحليل النصوص.

والتناص باعتباره مكونا من مكونات النص فهذا يعني أن النص يتكون من نصوص أخرى مأخوذة من الثقافة المحيطة أو قادمة من آفاق وأزمنة أخرى، ومهما كان طابعه التجديدي، فإنه يعيد إنتاج نصوص سابقة عليه أو متزامنة معه، وهو ما يبعده عن الغرابة والغموض ويدمجه ضمن دائرة أدبية أو إيديولوجية.

والتعريف الأكثر تمثيلا هو تعريف جوليا كريستيفا الذي استعمله فيما بعد ، كثير من السيميائيين والباحثين والطلبة، والذي يرى في التناص خاصية أساسية للنص، تقول: " من هذا المنظور، نعرف النص بوصفه جهازا عبر _ لغوي Translinguistique يعيد توزيع نظام اللغة،

¹ حسين خمري، نظرية النص، ص 249-252.

² المصدر نفسه، ص 254-256.

ينظم العلاقة بين العبارة التواصلية التي تهدف إلى الإعلام المباشر والأنماط التنفيذية المختلفة السابق عليها و المتزامن معها " .

ويتخذ التناص أشكالاً مختلفة، كأن يكون ظاهراً، مثلما نجده في الاستشهادات أو الاقتباس الذي يُعلم بمزدوجين، أو أية علامة شكلية أخرى. كما يمكن أن يكون متخفياً، حيث " يكتسي التناص شكلاً أكثر خفاءً في النص الحديث، وهكذا يتحول إلى مصدر للغموض الفني وانفتاح على النصوص الأخرى"¹.

وهذا النوع نجده كثيراً في الجنس "Anagrammes" لفريديناند دوسوسير "أو"الكلمات تحت الكلمات" كما يقول، وفي الأغاني الدينية للهند القديمة ولدى بعض الطوائف الدينية، وكالألعاب الشعرية في الأدب العربي القديم وبعض الألغاز والأحاجي،.... الخ . وهذا يعني أن النص لا يعيد إنتاج النظام النصي للنصوص السابقة، ولكنه يتجاوزها لكي ينكتب في التاريخ كخصوصية نصية، لكي يقوم بوظيفته المزدوجة باعتباره هدم وبناء في الوقت ذاته.

حيث تناول خمري في الفصل الثالث " من اللغة إلى النص " حيث أعطى رومان جاكسون في مخططه الأولي للتواصل، العناصر المكونة لعملية التواصل وهي: أ - المرسل (أو الباث)، ب- المرسل إليه (أو المستقبل)، ج- الرسالة (أو الشفرة) .

إن المخطط الذي اقترحه جاكسون بأبعاده الثلاثة (المرسل والمرسل إليه و الرسالة) يفترض وجود مرسل إليه يتقبل "الرسالة" ويستعمله الباث في شكل قناة لتمرير رسالته، مع ذلك نلاحظ أن المتلقي في الخطاب الأدبي، هو مستقبل مثالي وبصيغة الجمع، وهذا يتطلب من جانب الباث اشتغالا مضنيا على اللغة ومعرفة دقيقة بآليات إنتاجها للمعنى حتى يتسنى له تمرير رسالته، هذا الاشتغال على اللغة يعتبر عملاً مهماً لإبراز العلاقة المباشرة بين الطرفين (أ - ب) لكي يصل الطرف (ج) إلى هدفه المرجو من عملية التواصل².

إن كل نص هو عبارة عن منظومة لغوية لها قوانينها وآلياتها وترهين لألفاظها في سياقاتها المختلفة، وقد بينت الدراسات الأنثروبولوجية الحديثة أهمية اللغة في المجتمعات البدائية ودورها الخطير حيث كانت تمارس عليه فنتتها وطقوسها السحرية.

¹ حسين خمري، نظرية النص، ص260.

² المصدر نفسه، ص265-266.

وفي المجتمعات المعاصرة نلاحظ أن الكلمة المطبوعة (أو النص) تحاط بهالة طقوسية وصخب كبيرين يمدانها بكل أسباب القوة والدوام ويساعدانها على الانتقال لتصبح عنصرا مكونا لثقافة.

إن اللغة من خلال النص تعتبر وسيلة لترهين وإعادة بناء للألفاظ والبنية الدلالية بصفة عامة، ولكنها أيضا وسيلة لتفكيك العلاقات العتيقة بين الألفاظ واستبدالها بعلاقات جديدة، ويعمل النص على نقل النظام اللغوي من حالته السكونية/ المعيارية إلى حالة الاستعمالية/ الحركية. ويعرف الناقد مصطلح لغة اللغة Métalangage هو اللغة التي يكون موضوع دراستها لغة أخرى، وهذا يبدو طبيعيا أو من باب البداهة لأن النص الذي هو إنتاج لغوي لا يمكن أن نقاربه إلا باللغة، وإذا فلغة اللغة هي علاقة بين لغتين لغة طبيعية ولغة واصفة تأخذ الأولى كمجال للبحث والدراسة¹.

وحسب مفهوم أبي حيان هي الكلام عن الكلام وقد ميز بين مستويين من الكلام ، الكلام الأول الذي يكون موضوعه العالم والمحيط والأشياء وهي سهلة نسبيا لأنها تعتمد إما على الحس وتصوير الأمور، ويكون المجال فيها واسعا والفضاء أرحب ومقامات الكلام مختلفة أما الكلام عن الكلام فهو يسبب بعض الإحراجات، لأن موضوعه كلام آخر، لهذا فإن "الكلام على الكلام صعب" لأنه يدور على نفسه، أي أنه يفكر ذاته بنفس الأداة (اللغة) لذلك يلتبس بعضه ببعضه وتتداخل عناصره².

إن النص الأدبي يمثل علاقة لغة بالعالم، أي أن موضوعه هو العالم والأشياء أما لغة اللغة فإنها تمثل علاقة لغة بلغة .

كما كان وعي المفكرين العرب بهذه القضية شديدا حيث ميزوا بين لغة النص ولغة الشرح وفتنوا العلاقة الموجودة بين اللغتين حتى لا يقع الخلط بين لغة القرآن الكريم ولغة الشراح والمفسرين على ما فيها من إصابة في فهم مقاصد القرآن الكريم، ولكنهم مع ذلك يعترفون بصعوبة المهمة، كما نجده عند القاضي "أبو بكر الباقلاني" الذي يعترف بصعوبة النقد وتمييز الكلام بعضه

¹ حسين خمري، نظرية النص، ص 279-280.

² المصدر نفسه، ص 280-281.

عن بعض، وقدم ملاحظة في غاية الأهمية وهي اختلاف الناس في فهم النص الأدبي الواحد أو كيفية تلقيه أو نقده¹.

وأزعم أن الجاحظ كان أوعى المفكرين والفلاسفة العرب بهذه القضية التي خصص لها كتابا كاملا وهو كتاب "البيان والتبيين"، وحسب ما يتضح من موضوعات هذا الكتاب أنه طرح هذه القضية تطبيقا، أكثر مما حاول أن ينظر لها، "فالبيان" يكون من زاوية الإنتاج و"التبيين" يكون من زاوية المحلل.

ومن هنا يتضح أن البيان لا يتأتى إلا بوجود مجموعة من الشروط منها تمييز المقامات المختلفة والكيفيات المتعددة للتعامل مع اللغة، وسياستها أي تطويعها للتعبير عن أغراض المتكلم ومقاصده وبالتالي مطابقتها لها، ثم هناك أيضا كيفيات النظم والتركيب والدرية أي المداومة على الكتابة في أغراض مختلفة ومحاولة إنتاج خطابات متباينة والإلمام بميكانيزمات وآليات اشتغال الملفوظات وتوليد الدلالات.

ولكي يحدد رولان بارت مفهوم لغة اللغة فإنه قد بحث في موضوع النص وحدده "بالعالم" أما موضوع النقد فهو مختلف تماما، لأنه ليس "العالم"، ولكنه خطاب، خطاب الآخر: فالنقد خطاب على الخطاب، وبالتالي فهو لغة ثانية أو لغة اللغة كما يقول المنطقة التي تمارس وجودها واشتغالها من خلال اللغة الأولى (أو اللغة _ الموضوع)، ينشأ عن هذا أن العمل النقدي يجب أن يأخذ بعين الاعتبار هذين النوعين من العلاقات: "علاقة اللغة النقدية بلغة الكاتب وعلاقة هذه اللغة الموضوع بالعالم"².

أما النص والكتابة فقد حاول حسين خمري عرض أهم النظريات الفلسفية التي تكلمت عن موضوع الكتابة معتبرة إياها في المرتبة الثانية بعد الكلام، وفي أحسن الحالات قرينا لها، وكذلك طبيعة الكتابة في سياقها الأدبي.

فالكتابة في مفهومها هي الجمع وهي ضد التبعض والتشتت ولهذا يقول الفقهاء بأن القرآن الكريم سمي كتابا لأنه يجمع الآيات القرآنية، والكتابة هي جمع للحروف والألفاظ حتى تستقيم في أنساق ذات دلالات مخصوصة³.

¹ حسين خمري، نظرية النص، ص 281.

² المصدر نفسه، ص 281-282.

³ المصدر نفسه، ص 301.

يعرف جيرار فينيه الكتابة تعريفا شكليا أنطولوجيا حدده بثلاث مستويات¹ :

"أ- إن كلمة "كتابة" يستعمل للإشارة إلى نظام من العلامات المطبعية التي تسمح بتوليد النص المكتوب .

ب- تعني أيضا طريقة التنظيم المكانية التي تتخذها العلامات على مساحة الصفحة.

ج- وتعني أخيرا النص المكتوب الناتج عن فعل الكتابة ."

ومن أهم خصائص الكتابة أنها تخضع لمجموعة من المعايير فهي أولا بحث في ألفاظ اللغة وممارسة الاختيار وانتقاء المفردات الدالة التي تفتح مجالا لإنتاج دلالات متعددة، كما أنها تخضع للمعيار القواعدي، أي مجموع القوانين والسنن التي تجعل الكلمات بسبب من بعضها البعض، كما أنها تراعي المعيار النظمي والبلاغي، وبهذا "فهي تطمح إلى أن تكون شكلا خالصا حيث يصعب محاصرة المدلول، ولهذا السبب فإننا نستعمل _ غالبا _ مفهوم الكتابة (التآليف أو نظم)² .

حيث تناول الناقد حسين خمري علاقة الكتابة بالنص فقد كان أغلب النقاد وعلماء الأدب يستعملون مفهومي النص والكتابة بمعنى واحد، ويمكن القول إن الكتابة لا يمكن أن توجد كشيء معزول عن أي سياق ثقافي أو تاريخي.

ومن هنا تكون العلاقة بينهما علاقة أنطولوجية³، أي التلازم في الحضور، لكننا لا يمكن أن نغامر ونقول تلازم في الغياب وتنجر عن هذه العلاقة علاقة تلفظ وملفوظ تعود إلى طبيعتهما المشتركة وهي استعمالهما للكلمات والألفاظ.

أما الفصل الأخير فتناول فيه الناقد الممارسات النصانية، فتمثلت فيه المحاولات التأسيسية الأولى لبلورة الممارسة النقدية عند العرب في جهود البلاغين وما أنتجوه من مفاهيم نابغة من خصوصية النص العربي، وكان الدافع إلى ذلك هو فهم ودراسة الكلام العربي في مختلف تجلياته، انطلاقا من الدراسات التي تم إنجازها في هذا السياق والمتعلقة بالنص القرآني باعتباره معجزة لغوية بيانية⁴.

¹ حسين خمري، نظرية النص ، ص 310.

² المصدر نفسه، ص 313.

³ المصدر نفسه، ص 317.

⁴ المصدر نفسه، ص 325.

وإذا ما عدنا إلى الممارسات العربية القديمة، نجد أن اهتمامها كان منصبا على الجانب الاجرائي من البلاغة، أي صيغة تطبيق هذا المفهوم أو ذلك على هذه الجملة أو هذه الكلمة، أكثر من اهتمامها بالنص ككل، لذلك فإن اهتمامهم لم يتعد هذا الإطار عدا ما نجده عند الباقلاني الذي مارس التحليل النصاني من خلال دراسته وتحليله لجزء كبير من معلقة امرئ القيس وجزء كبير من قصيدة البحثري "أهلا بذكم الخيال"، ويعتبر عمله هذا "مزية إذا قورن عمله بعمل النقاد الذين يكتفون بالبيت أو البيتين"¹.

ويستنتج حسين خمري من خلال درس الباقلاني للقصيدتين أنه ينطلق من فكرة أساسية مؤداها أن نظم القرآن جنس متميز وأسلوب متخصص يباين جميع الأساليب، فإنه رغم ذلك قد تطرق إلى جانب من أهم الجوانب "أدبية النص" وهو النظام "وهي فكرة أشار إليها النقاد ... _ فإنها لم تتعد حدود التنظير"².

ويشير الناقد إلى التأسيس في النقد المعاصر فقد تبلورت " ممارسة النص" في سياق المناهج الحدائثية التي اهتمت بالنص الأدبي في حدوده الأنطولوجية، معتمدة على الإنجازات التي تمت في حقل اللسانيات والسميائيات وما وفره المنهج البنيوي من أدوات ومفاهيم وما فتحه من إمكانات للتحليل، وقد اعتبرت هذه المناهج الحدائثية أن النص هو الوسيلة والغاية في الآن ذاته على عكس المناهج التقليدية التي ألغت خصوصيته واعتبرته مجرد وثيقة أو مطية لا غير قصد إنتاج خطابات أو نصوص أخرى هي أبعد ما تكون عن الأدب³.

ويقدم حسين خمري نماذج عن الممارسات النصية:

أولاً: النص الشعري: حيث تناول عبد المالك مرتاض قصيدة أين ليلاي؟ لمحمد العيد الخليفة قوامها ثلاثة عشر بيتا شعريا دراسة سيميائية تفكيكية⁴.

ثانياً: النص الروائي⁵: محاولة السعيد علوش "عنف المتخيل في أعمال اميل حبيبي" حاولت الإستفادة من المناهج النقدية الحديثة وخاصة في سياقها البنيوي-التداولي على رواية واحدة للكاتب

¹ حسين خمري، نظرية النص، ص 326-327.

² المصدر نفسه، ص 335-360.

³ المصدر نفسه، ص 363-370.

⁴ المصدر نفسه، ص 373-401.

⁵ المصدر نفسه، ص 403-432.

الفصل الأول:

المصطلح النقدي "المفهوم، النشأة، الآفاق"

الفصل الأول : المصطلح النقدي " المفهوم ، النشأة ، الآفاق "

أولاً : المصطلح النقدي :

1/ مفهوم المصطلح لغة واصطلاحاً :

❖ المصطلح لغة :

كلمة "مصطلح" مأخوذة من المادة اللغوية (صلح) الدالة على صلاح الشيء وصلوحه، أي أنه نافع، ففي المعجم الوسيط: "صلح، صلاحاً، وصلوحاً" زال عنه الفساد (...) واصطلح القوم: زال ما بينهم من خلاف، وعلى الأمر تعارفوا عليه واتفقوا...".

الاصطلاح: مصدر اصطاح (...) اتفاق طائفة على شيء مخصوص ولكل علم اصطلاحاته¹. وفي لسان العرب: "الصلح تصالح القوم بينه، والصلح: السلم، وقد اصطاحوا وصالحو وأصلحو وتصالحو وأصلحو..."².

وقد ورد في معجم مقاييس اللغة لابن فارس أن الصاد واللام والحاء أصل واحد يدل على خلاف الفساد³.

كما بحثت عن دلالة الكلمة في معاجم أخرى فما وجدتها تتعدى معنى الاتفاق والتواضع والمصالحة والتعارف⁴.

❖ المصطلح اصطلاحاً :

يعرف الجرجاني المصطلح بقوله: "الاصطلاح عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما ينقل عن موضعه الأول، وإخراج اللفظ من معنى لغوي إلى آخر، لمناسبة بينهما، وقيل: الاصطلاح إخراج الشيء من معنى لغوي إلى معنى آخر، لبيان المراد، وقيل الاصطلاح لفظ معين بين قوم معينين"⁵.

ويعرفه " عبد السلام المسدي " كالاتي: "المصطلحات هي مجموعة الألفاظ التي يصطلح بها أهل علم من العلوم على متصوراتهم الذهنية الخاصة بالحقل المعرفي الذي يشتغلون فيه،

¹ مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط1، 2004، ص520.

² ابن منظور، معجم لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1997، مج1، (مادة صلح)، ص60.

³ ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان (د.ط)، (د.ت)، مادة (صلح)، ص574.

⁴ يوسف وغليسي، اشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط1، 2008، ص22.

⁵ الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط4، 1998، ص44.

وينهضون بأعبائه، ويأتمنهم الناس عليه، ولا يحق لأحد أن يتناولها بمجرد إضمار النية بأنها مصطلحات في ذلك الفن إلا إذا طابق بين ما ينشده من دلالة لها وما حدده أهل ذلك الاختصاص لها من مقاصد تطابقاً تاماً¹.

وقد أورد "عمر عيلان" تعريفاً للمصطلح في كتاب له بأنه: "كلمة أو مجموع كلمات تتجاوز دلالتها اللفظية و المعجمية إلى تأطير تصورات فكرية، وتسميتها في إطار معين، تقوى على تشخيص وضبط المفاهيم التي تنتجها"².

كما ورد تعريف للمصطلح في كتاب لـ "عبد الغني بارة" بأنه: "تسمية فنية تتوقف على دقتها ووضوحها معرفة الأشياء والظواهر، بسيطها ومركبها، ثابتها و متغيرها"³.

إن المصطلح قبل كل شيء هو لفظ له في السابق معنى ما، وعندما أريد لهذا اللفظ أن يصبح مصطلحاً غير معناه وبُذِل، واللفظ يخص اللغة والكلام، أما المصطلح فيخص العلم والفن. والمصطلح في اللغات الأوربية تصطنع لهذا المفهوم كلمات متقاربة النطق والرسم، من طراز (Terme) الفرنسية، و (Term) الإنجليزية، و (Termine) الإيطالية و (Termino) الإسبانية و (Termino) البرتغالية، و كلها مشتقة من الكلمة اللاتينية (Terminus) بمعنى الحدّ أو المدى أو النهاية⁴.

ونلاحظ أن مفهوم المصطلح في اللغة العربية لا يطابق مفهوم المصطلح في اللغات الأوربية من حيث الاشتقاق والمعنى لكنه يطابقه من حيث الوظيفة والدلالة .

¹ عبد السلام المسدي، الأدب وخطاب النقد، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت - لبنان، ط1، 2004، ص 146.

² عمر عيلان، النقد العربي الجديد مقارنة بين نقد النقد، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت - لبنان، ط1، 2010، ص 43.

³ عبد الغني بارة، إشكالية تأصيل الحداثة في الخطاب النقدي العربي المعاصر، الهيئة المصرية العامة لكتاب، (د.ط.)، 2005، ص 283.

⁴ يوسف وغليسي، المرجع السابق، ص 22.

2/ مفهوم النقد لغة واصطلاحاً :

❖ النقد لغة :

جاء في لسان العرب أن النقد هو: "تمييز الدراهم وإخراج الزيف منها،... والنقد: تمييز الدراهم وإعطائها إنساناً،... ونقدته الدراهم، ونقدت له الدراهم أي أعطيته، فانقدتها أي قبضها"¹، فهو بهذا التعريف يشكل لنا ثلاثية التمييز، الإيعاء والقبط.

وبتصفحي لمعجم أساس البلاغة للزمخشري نجد فيه أيضاً "نقده الثمن، ونقده له فانقدته، ونقد النقاد الدراهم: ميز جيدها من رديئها..."² نستشف من النص كذلك معنى عطاء الثمن، فقبطه. إذن فقد ظل معنى كلمة "نقد" يدور في مفهومه حول نقد الدراهم وتمييز جيدها من رديئها، والنقد بمعنى العيب ورد ذلك في حديث الدرداء الذي يقول فيه "إن نقدت الناس نقدوك وإن تركتهم تركوك" ومعنى نقدتهم أي عبتهم واغبتتهم .

النقد اصطلاحاً :

لعل المعنى اللغوي أنسب المعاني وأليقها بالمراد من كلمة "النقد" في الاصطلاح الحديث من ناحية، وفي اصطلاح أكثر المتقدمين من ناحية أخرى ففيه معنى الفحص والموازنة والتمييز والحكم³.

يحاول قدامة بن جعفر (ت337هـ) في كتابه "نقد الشعر" تحديد مفهوم النقد في مقدمة الكتاب فيقول "ولم أجد أحداً وضع في نقد الشعر وتخليص جيد من رديئه كتاباً، وكان الكلام عندي في هذا القسم أولى بالشعر من سائر الأقسام"⁴.

ويوضح الصولي (ت335هـ) مفهوم النقد حين يعلق على البحرني فيقول "هذا شاعر حاذق مميز ناقد، مهذب الألفاظ"

و يبدو لنا أن نقد الشعر وتمييزه قد أصبح واضح المعالم في القرن الثالث، لقد وقف النقاد عند لفظة "نقد" محاولين تعريفها تعريفاً اصطلاحياً، وجميع هذه المحاولات اختلفت لفظاً واتفقت معنى

¹ ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، مج 3، مادة (نقد)، ص425.

² الزمخشري، أساس البلاغة، قاموس عربي عربي، راجعه وقدم له: أ. إبراهيم قلاتي، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 1998، ص 687.

³ أحمد الشايب، أصول النقد الأدبي، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، ط8، 1973، ص115.

⁴ قدامة بن جعفر، نقد الشعر تح محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، (د.ط)، (د.ت)، ص 89.

من ذلك مثلاً: النقد دراسة الأشياء وتفسيرها وتحليلها وموازنتها بغيرها والمشابهاة لها والمقابلة ثم الحكم عليها ببيان قيمتها ودرجتها¹، أو هو التقدير الصحيح لأي أثر فني وبيان قيمته في ذاته ودرجته بالنسبة إلى سواه².

والنقد في أدق معانيه هو فن دراسة الأساليب وتمييزها وذلك على أن نفهم لفظة الأسلوب بمعناها الواسع، وهو منحى الكاتب العام وطريقته في التأليف والتعبير والتفكير والإحساس على السواء³، أو هو مجموعة الأساليب المتبعة لفحص الآثار الأدبية والمؤلفين القدامى والمحدثين بقصد كشف الغامض وتفسير النص الأدبي والإدلاء بحكم عليه في ضوء مبادئ أو مناهج بحث يختص بها النقاد⁴.

وتكمن وظيفة النقد في النقاط التالية :

- دراسة العمل الأدبي وتمثله وتفسيره وشرحه واستظهار خصائصه الشعورية والتعبيرية وتقويمه فنيا وموضوعيا⁵.
- تحديد مدى تأثير العمل الأدبي بالمحيط ومدى تأثيره فيه هذا من الناحية التاريخية، أما من الناحية الفنية فإنه من المهم معرفة ماذا أخذ هذا العمل الأدبي ومدى استجابته للبيئة⁶.
- يفسر النقد الآثار الأدبية ويبين الأصول اللازمة لفهمها والوجوه التي تفهم عليها وهو بذلك ييسر قراءتها على الناس.
- لا يقف النقد الأدبي الخلاق عند بيان المساوئ والمحسن وإنما يتعدى ذلك إلى اقتراح ما ينهض بالأدب ويوسع من آفاقه إلى فنون جديدة وأساليب ممتعة⁷.

¹ أحمد الشايب، أصول النقد الأدبي، ص 115 .

² المرجع نفسه، ص 116.

³ محمد مندور، في الأدب والنقد، دار النهضة، مصر، ط3، 1994، ص 14.

⁴ مجدى كامل وهبة، معجم المصطلحات العربية، في اللغة و الأدب، مكتبة لبنان، بيروت، 1979، ص 228، 229.

⁵ حسن جاد، دراسات في النقد الأدبي، د.ط، 1977، ص 21.

⁶ سيد قطب، النقد الأدبي أصوله ومناهجه، دار الشروق، د.ط، ص 113.

⁷ أحمد الشايب، أصول النقد الأدبي، ص 171.

3/ مفهوم المصطلح النقدي:

مما لا شك فيه أن المصطلح النقدي يشكل العمود الذي يقوم عليه الخطاب النقدي، فهو رمز لغوي (مفرد أو مركب) أحادي الدلالة، منزاح نسبياً عن دلالاته المعجمية الأولى يعبر عن مفهوم نقدي محدد وواضح، متفق عليه بين أهل هذا الحقل المعرفي، أو يرجى منه ذلك¹.
والمصطلح النقدي جزء من المصطلح العام وهو "اللفظ الذي يسمى مفهوماً نقدياً لدى اتجاه نقدي ما، ويعتبر من ألفاظ ذلك الاتجاه أو من مصطلحاته"، أو هو "مجموع الألفاظ الاصطلاحية لتخصص النقد"².

كما أنه "النسق الفكري المترابط الذي يبحث من خلاله عملية الإبداع الفني ونختبر على ضوءه طبيعة الأعمال الفنية وسيكولوجية مبدعيها، والعناصر التي شكلت ذوقه"³، فلو تأملت هذا التعريف لأدركت بأن المصطلح النقدي هو الذي يؤطر التصورات الفكرية التي ينتجها فعل ممارسة العملية النقدية وفق ضوابط منهجية من شأنها توضيح دلالاته .

ثانياً : نشأة المصطلح النقدي

لقد شكلت المصطلحات النقدية العربية من خليط التصورات، واستمد بعضها من عالم الأعراب وخيامهم (البيت - العمود) ومن عالم سباق الخيل (المجلى والمصلى)، ومن عالم الثياب (حسن الديباجة، رقيق الحواشي، مهلهل)، ومن عالم الحروب و الشجاعة (متين الأسر) ومن ظروف التسارع القبلي (النقائض، السرقة، الرفاة، الإغارة).

وقد استمد مصطلحات من عالم الطبيعة (هذا شعر فيه ماء ورونق)، ومن الحياة الاجتماعية (الطبع والصناعة) بل استمدت مصطلحات ومن عالم البحث (المفاضلة والفحولة)، ومن تجارب العرب في الترجمة (اللفظ والمعنى)⁴.

وهكذا نجد أن البواكير الأولى للمصطلحات النقدية- ثم التطور الذي آلت إليه من بعد- تحمل معطيات الحياة العربية من الجاهلية (المعلقات والقصائد) إلى صدر الإسلام (النقائض) إلى

¹ يوسف وغليسي، اشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، المرجع السابق، ص 24 .

² أحمد مطلوب، في المصطلح النقدي، منشورات المجمع العلمي، بغداد، (دط)، 2002، ص 235.

³ عبد العزيز الدسوقي، نحو علم جمال العربي، سلسلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مج9، ع2، ص128.

⁴ رجاء عيد، المصطلح في التراث النقدي، الناشر المعارف، الاسكندرية، ص 06.

عصور الانحطاط (المعارضات والموشحات)، وبتقدم الزمن وتعمق التجربة الثقافية تزود النقد بمصطلحات فلسفية مثل (المعاني للشعر بمنزلة المادة الموضوعية والشعر منها كالصورة) مثل التشبيهات العضوية (الكلام جسد وروح فجسده النطق وروحه معناه).

وقد بلغ الاتجاه الفلسفي للنقد أوجه على يد (حازم القرطاجني) في مصطلحات مثل (القوة المؤثرة والقوة الصانعة والقوة الحافظة)، وعدد من المصطلحات الأخلاقية من استعارة وتشبيه وإدماج وإرداف وإطناب وما أضافته في تزويد وافعال مصطلحات السرقات الشعرية من (نسخ وسلخ...).

ثالثا : الخلفيات التأسيسية للمصطلح النقدي :

إن جماع ما يأتلف من الثوابت المعرفية، والمقاييس اللغوية، والوسائل النوعية، هي- كما يذهب عبد السلام المسدي- قاعدة التأسيس التي تحصن القصد المنهجي والمعرفي الذي يرمي إليه مستعمل المصطلح من الزيغ، فتكفل له الرؤية العلمية الواضحة والسند القوي كما تؤمن له الخبرة العلمية التي تزيده بصيرة بأدوات عمله¹.

أ- الثوابت المعرفية :

من الثوابت المعرفية المطلقة أن اللغة ظاهرة جماعية و اجتماعية يحركها بندول الحاجة، فتقف مشدودة إلى قطبين متجاذبين: يدفع الأول بضغط المواكبة، ويشدها الثاني بوزاع حب البقاء، انقاء للانسلاخ الماحي لرسمها، وعلى عماد هذه الحقيقة تنزرع قاعدة أساسية في صياغة المصطلح النقدي العربي تقوم على قدرته على ترشيح التعادلية القابضة على طرفي الجنب: أن يتلاءم مع الاقتضاءات المتجددة، وأن يُبقي على بنيته التي بها جوهره وفيها هويته، لأن المصطلح لا يُولد أو يصاغ أو يُصنع ارتجالاً أو بصورة اعتباطية، بل لا بد فيه من حاجة ماسة، ودلالة واضحة، ومناسبة تدعوا إليه في هذا العلم أو ذلك .

ب- المقاييس اللغوية :

إن النواميس التي تحكم لغة المصطلح النقدي العربي منحته سمة التفرد والتمايز، فهو ذو طبيعة توالدية بفعل "الحركة الانفجارية داخل بنيته، الناجمة عن آلية الاشتقاق، مما يكسبه طواعية داخلية تمكنه من معاودة الانتظام الذاتي، واستئناف الارتصاف البنائي عند كل حاجة دلالية، على

¹ عبد السلام المسدي، المصطلح النقدي، مؤسسات عبد الكريم للنشر والتوزيع، تونس، (د.ط)، 1994، ص 10، 11.

أن الدلالات التي يكسبها يُحرم بموجبها من حق الانزياح الدلالي المباح للكلمات العادية تقاديا لكل اضطراب تواصلية محتمل¹ .

ج-الوسائل النوعية :

ويقصد بها تحديد مجال الاختصاص المعرفي للمصطلح ، إذ يشترط في المصطلح أن يحافظ على العناصر المفهومية التي شكلته، وأن يتمكن من خلق تواصل متبادل بينه وبين اللغة التي ينتجها ويدفعها، وبينه وبين الموضوع الذي يريد معالجته، وبخاصة إذا كان المصطلح قد اكتسب حمولته الفكرية والمفهومية عبر تشكله في الزمان والمكان والثقافة المغايرة لبعده التاريخي والحضاري، مما توجب عملية اشتغاله، بصورة طبيعية وإيجابية، ضرورة استيعابه في حقله المعرفي في أثناء تشكله من حقول معرفية متباينة يسر ضبطه معجميا وملاحقته في إطار أسرته الاشتقاقية، ومفهوميا في إطار أسرته الدلالية والإحالية القريبة والبعيدة .

رابعا : آليات ومراحل صياغة المصطلح النقدي :

❖ آليات صياغة المصطلح النقدي :

في ظل ما يعرفه الغرب من تطور حضاري، فهم يمطرون العالم يوميا وبوتيرة سريعة بمئات المصطلحات والألفاظ الجديدة وأمام هذا الوضع تجد العربية نفسها مجبرة على مواكبة هذا الركب ومسايرة زخمة المصطلحات في شتى الميادين المعرفية، ولن يتأتى ذلك إلا بقيام رجالات هذه اللغة بتوليد المصطلحات لتسمية المفاهيم التي ترد عليهم من الغرب .

فلا بد أن تتسم صياغة المصطلح بخصوصيات اللغة التي يتم ضمنها توليد هذه المصطلحات، ومن أهم طرائق صياغة المصطلح النقدي في لغتنا العربية: الاشتقاق والنحت والمجاز والتعريب والترجمة .

❖ الاشتقاق :

من المسلم به أنه من أهم خصائص لغتنا الضادية أنها لغة اشتقاقية، والاشتقاق علم مشترك بين الصرفيين واللغويين الذين احتاجوا إليه لما قاموا بوضع المعاجم الأولى². ويعرف الاشتقاق

¹ لحسن دحو، كاريزما المصطلح النقدي العربي: تأملات في الوعي النقدي وصياغة المفهوم، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، ع 07، 2011، ص212.

² دراقي زبير، محاضرات في فقه اللغة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1، 1992، ص 79.

" بأنه استخراج لفظ عن آخر متفق معه في المعنى و الحروف الأصلية¹، أو هو " أخذ كلمة من كلمة أو أكثر مع تناسب بينهما في اللفظ و المعنى"².

وقد قسم علماء اللغة الاشتقاق إلى نوعين: الاشتقاق الصغير أو (الأصغر) و الاشتقاق الكبير أو (الأكبر) .

أ-الاشتقاق الصغير: هو أكثر أنواع الاشتقاق شيوعا في العربية وهو محتج به لدى أكثر علماء اللغة، ويعرفه الأستاذ الدكتور دراقي بأنه " هو ما لم تغير التصاريف شيئا من مادته الأصلية التي تحافظ في جميع مشتقاتها على حروفها الأصلية وعلى ترتيبها الأصلي بالإضافة إلى المعنى المشترك الرابط بينها"³ ، مثل: نقد وناقذ وناقذ وناقذ وناقذ وناقذ .

والواضح أن الاشتقاق الصغير هو نوع من التوسع في اللغة، وله الدور الحاسم في توليد جزء كبير من مفرداتها .

ب-الاشتقاق الأكبر: عرفه ابن جني بقوله: هو أن " نأخذ أصلا من الأصول الثلاثية، فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحدا تجتمع التراكيب الستة وما يتضرق من كل واحد منها عليه"⁴. بمعنى أن الاشتقاق الأكبر يتم باستبدال مواقع الحروف ست مرات تختلف شكلا وتتحد معنا، ولكنه بالرغم من هذا لا يستعمل بكثرة في لغتنا، فالاشتقاق بنوعيه هو الطريق الرئيسي لتوليد الألفاظ، وذلك بإيجاد صيغ جيدة من الأصول القديمة، فعن طريقها يستطيع العربي استبدال المصطلحات الأجنبية بكلمات عربية فصيحة هي أحسن تعبيرا وأدق دلالة، هو بلا منازع وسيلة للنهوض باللغة العربية .

❖ النحت :

النحت في الاصطلاح" أن ينتزع من كلمتين أو أكثر، كلمة جديدة تدلّ على معنى ما انتزعت منه"⁵، فهو بذلك جنس من الاختصار " يُلجأ إليه لمعالجة الكلمات الأوروبية المتكوّنة من

¹ أنيس ابراهيم، من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط6، 1987، ص 62.

² دريد الأزدي أبي بكر محمد بن الحسن، الاشتقاق، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، منشورات مكتبة المثني، بغداد، العراق، ص 26.

³ دراقي زبير، محاضرات في فقه اللغة، المرجع السابق، ص 80-89.

⁴ ابن جني أو الفتح عثمان، الخصائص، تح، محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، المكتبة العلمية، (دط)، (دت)، ص 134.

⁵ إميل بديع يعقوب، فقه اللغة العربية وخصائصها، دار العلم للملايين، ط2، 1986، ص 209.

عنصرين، يفيد الأول معنى، والثاني معنى آخر، فيتكوّن منهما معنى ثالث جديد¹، يُفهم من هذا التعريف أنّ اللجوء إلى النحت يتمّ في حالة كون المصطلحات الأوروبية مركّبة، فالنحت بهذه الطريقة يقابله التركيب في اللغات الأوروبية وهي طريقة واسعة الاستعمال. ومادام الأمر كذلك فهو ليس من سمات اللغة العربية بل هو سمة نوعية لفصيلة اللغات الانضمامية² نحو اللاتينية والجرمانية، لأنّهما يتمتّعان بهذا النوع من التوليد ولاسيّما بإدخال السوابق واللواحق على اللفظ لإنتاج مصطلحات جديدة لا تحصى.

فالكلمات المنحوتة لا تُقبَل إلاّ إذا كان ذوقها سليما، ولتحقيق هذا الأخير يُشترط في الحروف المكوّنة لها أن تكون منسجمة وخاضعة لأحكام العربية، وزيادة على ذلك فلا بدّ من صياغتها على وزن عربي، وفي هذا الصدد تجدر الإشارة إلى أنّ عبد الملك مرتاض لا يأخذ بعين الاعتبار هذه الشروط، ولاسيّما عند نحته مثلا من " التحليل النفسي " مصطلح " التحلّفي " وقد عبر عن ذلك قائلا: "يعاب على استعمالنا هذا أنّه خرج عن البناء العربي القائم، ونحن نجيب عن هذا أنّ اللغة العلمية هي غير اللغة الأدبية"³.

رغم الخلاف القائم بين الطرفين بخصوص قضية اعتبار النحت من الوسائل المعتمد عليها في صياغة المصطلحات، إلاّ أنّ مجمع اللغة العربية بالقاهرة وافق على النحت عند الضرورة ونصّ القرار على أنّه: " يجوز النحت عندما تلجأ إليه الضرورة العلمية"⁴، هذا يعني أنّه لا يعتمد عليه إلاّ عند الضرورة، ولعلّ هذا راجع إلى صعوبة وضع القواعد التي تضبط ما يسقط منه من حروف، وما يتبقّى منها عند التحام الكلمتين.

ونظرا لقرار المجمع القائل بجواز النحت عند الضرورة، فإنّ النحت سيظلّ وسيلة من وسائل وضع المصطلحات في اللغة العربية لكنّه وُضع في آخر المطاف، حيث يعتبر الاشتقاق أفضل الطرق في اللغة العربية لتكوين كلمات جديدة دالة على معان جديدة، لذلك كان محقّا من قال:

¹ محمد رشاد الحمزاوي، المنهجية العامة لترجمة المصطلحات وتوحيدها وتنميطها (الميدان العربي)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1، 1986، ص 43.

² مصطلح "اللغات الانضمامية" هو من وضع د. عبد السلام المسدي، ويقصد به اللغات التي تضيف إلى أوائل الكلمات الأصلية صدورا أو سوابق، وإلى أواخرها كواسع أو لواحق. (ينظر: عبد السلام المسدي: المصطلح النقدي، ص 25).

³ عبد الملك مرتاض، صناعة المصطلح في العربية، مجلة " اللغة العربية " للمجلس الأعلى للغة العربية، (الجزائر)، ع02، 1999، ص 29.

⁴ محمود فهمي حجازي، الأسس اللغوية لعلم المصطلح، المرجع السابق، ص 75.

"يجب ألا نلجأ إلى النحت إلا إذا أعيانا الاشتقاق"¹، وإلى جانب ذلك فهناك من يظلّ يفضلّ اللفظ المعرّب على اللفظ المنحوت بدليل أنّ "المنتبّع لتاريخ اللغة العربية يُدرك كيف كان أمر احتضان اللفظ الأعجمي أهون على العرب من اللجوء إلى النحت الذي يؤدي إلى شذوذ في الأوزان أو عجمة في ترتيب الأصوات وتوزيع المقاطع"².

❖ المجاز :

المجاز (Trope) هو " لفظ يستعمل في غير ما وضع له مع قريرة مانعة من إرادته المعنى الأصلي"، بمعنى استعمال اللفظ في غير ما وضع له أصلاً"³، أي "نقله من دلالاته المعجمية (الأصلية أو الوضعية أو الحقيقية) إلى دلالة علمية (مجازية أو اصطلاحية جديدة على أن تكون هناك مناسبة بين الدالتين"⁴.

ويتضح أن المجاز هو انتقال اللفظ من معناه الحقيقي إلى معنى آخر مجازي وهذا ما قد يعبر عنه في موضع آخر بالاستعارة، والمجاز وسيلة تستعين به اللغة لكي تطور نفسها بالمحافظة على الوحدات المعجمية نفسها والتي تتسع دلاليا لتستوعب دلالات جديدة لا تربطها بالدلالات الأصلية سوى خاصية المشابهة، لا ينبغي أن نتمادى في استخدام المجاز حتى لا نقع في مطب "الاشتراك اللفظي" الذي يخلق نوعا من الالتباس، وهذا ما يتنافى مع شروط وضع المصطلح.

❖ التعريب :

يُعرّف التعريب بأنه "صبغ الكلمة بصبغة عربية عند نقلها بلفظها الأجنبي إلى اللغة العربية، وقد استعملت كلمة المعرّب بمعنى اللفظ الأجنبي الذي غيرّه العرب ليكون على منهاج كلامهم"⁵، وهو عند البعض: "إدخال اللفظ الأجنبي بذاته وبمادته إلى اللغة العربية، ويصطلح على تعميم استعماله ضمن مفردات اللغة العربية"⁶.

¹ إميل بديع يعقوب، فقه اللغة العربية وخصائصها، المرجع السابق، ص 214.

² عبد السلام المسدي، المصطلح النقدي، المرجع السابق، ص 25.

³ الخوري شحادة ، دراسات في الترجمة والمصطلح والتعريب، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط1، 1919، ص42.

⁴ يوسف وغليسي، اشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، المرجع السابق، ص 84.

⁵ سمر روجي الفيصل، المشكلة اللغوية، لبنان، 1992، ص 92.

⁶ نازل معوض أحمد، التعريب والقومية العربية في المغرب العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة الثقافة القومية (6)، بيروت، 1986، ص 42.

فالملاحظ هنا أنّ التعريف الأول يختلف عن التعريف الثاني في كونه لا يكتفي بنقل اللفظ الأجنبي إلى اللغة العربية دالا ومدلولا فقط، بل لا بدّ من إحداث تغييرات فيه، وذلك بجعله يتماشى مع قواعد اللغة العربية المرنة حتّى يشبه المُعَرَّبُ اللفظَ العربي الفصيح .

ومن هنا يمكننا القول إنّ التعريف الأوّل خاصّ بالتعريب، في حين ينطبق الثاني على الدخيل، وما يبرّر ما نحن بصدد قوله هو تمييز القدماء بين المُعَرَّبِ والدخيل حيث " أسماوا الظاهرة العامّة "دخيلًا" وخصّصوا قولبة اللفظ الدخيل بمصطلح "التعريب"، فقالوا : تعريب الاسم الأعجمي أن تتفوّه به العرب على منهاجها"¹،

لم يختلف اللغويون العرب في تعريف التعريب فحسب، وإنما اختلفوا أيضا من حيث أهميته في وضع المصطلحات في اللغة العربية، فهناك من يرفضه بدليل أنّه "متى كثر هذا النوع من الاقتباس تضاءلت اللغة وربما أدّى ذلك إلى اضمحلالها"²، فأصحاب هذا الرأي يرون أنّ الإفراط في التعريب قد يؤدّي باللغة إلى زوالها، فهي تتعرّض للخطر كلّما استعملت هذه الوسيلة بكثرة، وبالتالي لا تنمو اللغة في هذه الحالة وإنّما تتطوّر بمعنى أنّها تتحوّل إلى لغة أخرى، وهذا ما عبّر عنه عبد الرحمن الحاج صالح بقوله: " الدخيل ظاهرة طبيعية ولكن التوليد بوسائل الاشتقاق هو أيضا ظاهرة طبيعية، فلا ينبغي أن يطغى الأوّل على الثاني و إلاّ تحوّلت اللغة إلى لغة أخرى"³، فهذه الطريقة في نظرهم سهلة عند البعض، ولاسيّما لما يتعلق الأمر بالميادين العلمية التي تكثّر فيها الرموز كالرياضيات والفيزياء مثلا، وما دامت هذه الرموز تُكْتَبُ في جميع اللغات بالحروف اللاتينية، فهناك من رفض اللجوء إلى التعريب في مجالات كهذه، حيث جاء على لسان أحدهم: " ما الداعي لتعريب الرموز الكيميائية بينما هي في الحقيقة رموز بالأحرف اللاتينية مستعملة من طرف جميع الدول الأجنبية"⁴.

رغم ما ذهب إليه هؤلاء، إلا أنّ اللغويين العرب وجدوا أنفسهم مجبرين على توظيف المصطلحات المعرّبة لأنّ مفاهيمها أو تصوراتها لم تقم في أذهان لغويي العرب، ومن العبث

¹ عبد السلام المسدي، المصطلح النقدي، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتوزيع، تونس، 1994، ص 29.

² محمد أحمد العمارة ، بحث في اللّغة والتربية، دار وائل للنشر، الأردن، ط1، 2002، ص 382.

³ عبد الرحمن الحاج صالح، المعجم العربي والاستعمال الحقيقي للغة العربية، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، المجمع الجزائري للغة العربية، ع1، 2005 ، ص 18 (الهامش رقم "7").

⁴ محمد أحمد العمارة، المرجع السابق، ص 382.

فرض المصطلحات العربية التي لا تتناسب والمفاهيم التي تعنيها¹، يفهم من هذا التعريف أنّ صعوبة إيجاد المقابل العربي للمصطلح الأجنبي هي التي جعلتنا نلجأ إلى التعريب، ومادام الأمر كذلك فإنّ استخدامه لا يتجاوز مرحلة من مراحل التجريد الاصطلاحي، وبالتالي " يلجأ إليه حتّى يظهر مصطلح عربي محدّد من"².

ولمّا كانت معظم المصطلحات المعرّبة ذات صيغة عالمية كالألفاظ ذات الأصل اليوناني أو اللاتيني أو تلك التي تتكوّن من اسم عالمٍ نحو: "منعكس بابينسكي"³، فهناك من يرى أنّ المفاهيم العالمية المُجمَع على أهميّتها في الميدان العلمي والتقني هي التي ينبغي أن تُعرّب⁴، نستخلص ممّا سبق أنّه لا يُلجأ إلى التعريب إلّا إذا توفّرت في المصطلح صفة العالمية أو تعذر إيجاد المقابل العربي المناسب .

وعلى الرغم ممّا ذهب إليه كلّ طرف، فإنّ " لكلّ من الطرفين جانبا من الحقّ فجمال اللغة مطلب، كما أنّ وظيفة اللغة كوسيلة أيضا أمر مهمّ"⁵ فلا داعي إذن إلى وصف هذه الوسيلة بالقصور، ولاسيما لمّا نعلم أنّ اللغة العربية عرفت هذا النوع من النقل منذ زمن بعيد، فهي لا يمكنها الاستغناء عنه، بل يظلّ من الوسائل المعتمد عليها في وضع المصطلحات العربية، لأنّ الترجمة قد توقعنا أحيانا في أخطاء لا تُغتفر، وإلى جانب ذلك فهناك "ميادين لا تجوز فيها الترجمة بل هي تستوجب إدخال تعديلات أساسية عليها قبل ترجمتها، مثل الاختبارات والمقاييس النفسية التي لا تجوز ترجمتها فهي بحاجة إلى التعريب"⁶.

❖ الترجمة:

تعدّ الترجمة من الوسائل الهامة للرفقي اللغوي، وخاصّة في وقتنا هذا أين كثرت المنشورات باللغات الأجنبية، فالاطّلاع على هذه الأخيرة يتطلّب ترجمتها إلى اللغة العربية، ونظرا لأهمية

¹ محمد حسن عبد العزيز، المصطلحات اللغوية، المرجع السابق ، ص 313.

² عبد السلام المسدي، قاموس اللسانيات، الدار العربية للكتاب، تونس، 1984 ، ص 28.

³ عبد المجيد سالمى و نور الدين خالد، معجم مصطلحات علم النفس، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط1، 1998، ص 332.

⁴ عبد الرحمن الحاج صالح، اللغة العربية وتحديات العصر؛ أعمال الندوة الخاصة بمكانة اللغة العربية بين اللغات، مجلة اللغة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2001، ص 29.

⁵ محمد أحمد العميرة، بحوث في اللّغة والتربية، المرجع السابق، ص 382.

⁶ مركز الدراسات النفسية والتّفسية- الجسدية، السيكولوجيا و الأنثروبولوجيا التّقافية، مجلة التّقافة النفسية المتخصصة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، مج 10، ع 39 و 40، 1999، ص 7 .

الترجمة الكبيرة فقد تصدى لدراستها كثير من الباحثين، ومن هؤلاء، نذكر جورج موانان (Georges MOUNIN) الذي عرفها بقوله: " الترجمة عملية اتّصال غايتها نقل رسالة من مرسل إلى مُتلقٍّ أو مستقبلٍ Récepteur " ¹.

ولمّا كانت الترجمة وسيلة من وسائل الاتّصال، فهي تستوجب نقل المعنى والمبنى معا؛ هذا يعني أن هذه العملية" تقتضي نقل المحتوى الدلالي للنص من لغة الأصل إلى لغة النقل، حيث يتغيّر شكل الدلالة، وينتقل معه المعنى بوصفه عاملا سابقا على الكتابة واللغة"² فالعلاقة إذن بين الشكل والمعنى مرتبطة ارتباطا شديدا، حيث كلّ تغيّر في نقل الشكل يصاحبه تغيّر في نقل المعنى، والعكس صحيح، وفي هذا الصدد ينبغي أن نشير إلى ضرورة إلمام المترجم بخصائص اللغتين المنقول منها وإليها، لأنّه لا يُبقي على تراكيب اللغة الأصل وإنّما يعيد بناء النص الذي هو بصدد ترجمته حسب خصائص اللغة التي ينقل إليها.

أمّا فيما يتعلّق بأهمية الترجمة، فهي تلعب دورا هاما في تقريب التفاهم والمعرفة بين الحضارات، وبعبارة أخرى فهي تمكّننا " من اطلاع غيرنا من الشعوب والأمم على أحسن وأقوم ما أبدعه وبيدعه مفكروننا و أدباؤنا وعلماؤنا"³.

وأن تكون الترجمة مستحسنة وجيدة، لا مناص من توفر جملة من الضوابط و الشروط ، من ذلك ضرورة أن يكون المترجم عارفا باللغة المصدر واللغة الهدف معا، ووجوب ربط المصطلح المترجم بالبنية الثقافية التي ظهر فيها ⁴.

وينبغي للمترجم أن يحرص على ملائمة المصطلح المنقول للغة المنقول إليها، إتقاء نفور الناس منه، وضمانا لسيرورته (بالسّين) وتقبل الجمهور له .

يقول المسدي: " إن المصطلح النقدي تزداد حظوظ مقبوليته في التداخل والتأثير، كلما توفرت فيه مقومات المواءمة الإبداعية "⁵، ويشترط في ترجمة المصطلح - كذلك الأمانة والدقة...وعلاوة على ما ذكر، هناك شروط كثيرة تتصل بترجمة بشخص مترجم وقد أثبت محمد ديداوي في كتابه

¹ جورج موانان، المسائل النظرية في الترجمة، تر. لطيف زيتوني، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، ط1، 1994، ص 22.

² رشيد برون، الترجمة ورهانات العولمة و المناقفة، مجلة عالم الفكر، ع 1، مج 31، 2002، ص 171.

³ محمد اليعلاوي، ملاحظات حول الخطة القومية للترجمة، المجلة العربية للثقافة، ع 33، 1997، ص 234.

⁴ صلاح فضل، انتاج الدلالة الأدبية، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1987، ص 103.

⁵ عبد السلام المسدي، المصطلح النقدي، المرجع السابق، ص 21.

عن علم الترجمة عددا منها¹... وحتى تكون الترجمة العربية بهذه الصورة، والمترجم العربي بهذا الشكل، فإنه من اللازم العمل على إعداد المترجمين العرب إعدادا علميا متكاملًا، ليكونوا قادرين على الإسهام في نهضة أمتنا، والرقي بها في مدارج الحضارة، وقد نص المؤتمر العلمي الأول للمترجمين العرب الذي انعقد في بغداد أيام 28-29-30 مارس 1988 على هذا الإجراء الإعدادي في توصيته السادسة².

هذه هي بعض شروط الترجمة الجيدة، والتي تعد الميزان الذي يجب أن تعرض عليه الترجمات، قبل الإقرار بجودتها أو رداعتها، يقول محمد رشاد الحمزاوي في هذا الصدد: "فلا يمكن أن نقر على العموم وجود ترجمة صائبة وترجمة خاطئة، إلا إذا تقيدنا بمعطيات وقوانين جماعية، تستوجبها التجربة والتطبيق..."³.

❖ مراحل صياغة المصطلح النقدي :

يمكن أن نخلص بأن المصطلح في هجرته من لغة إلى لغة أخرى يمر بثلاث مراحل على حد تعبير المسدي الذي يسمي ذلك " قانون التجريد الاصطلاحي " وهذه المراحل هي⁴:

1-مرحلة التقبل :

وفيها يغزو المصطلح اللغة وينزل ضيفا جديدا على رصيدها المعجمي.

2-مرحلة التفجير :

فيها يفصل دال المصطلح عن مدلوله، ويفكك المصطلح إلى أجزائه المكونة له، فيستوعب نسبيا ويعوض بصياغة تعبيرية مطولة نوعا ما.

3-مرحلة التجريد :

أو مرحلة الاستقرار، وهي المرحلة الحاسمة في حياة المصطلح وفيها يتم تعويض العبارة المطولة بلفظ يحوصل المفهوم، فيستقر المصطلح الدخيل على مصطلح تألوفي أصيل.

¹ محمد ديداوي، علم الترجمة بين النظرية والتطبيق، دار المعارف للطباعة والنشر، تونس، ط1، 1992، ص 162 .

² نص هذه التوصية هو: يوصي المؤتمر بأهمية إعداد المترجم العربي إعدادا علميا جيدا و إعطائه قدرا أكبر من الاهتمام بما ينسجم ودوره الإبداعي في النهوض الحضاري للأمة العربية " من كتاب علم الترجمة بين النظرية والتطبيق، محمد ديداوي، المرجع نفسه، ص 485.

³ محمد رشاد الحمزاوي، المنهجية العامة لترجمة المصطلحات وتوحيدها وتنميطها (الميدان العربي)، المرجع السابق، ص47.

⁴ يوسف وغليسي، اشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ص48 .

كما يرى بأن "المصطلح يبتكر فيوضع ويبث ثم يقذف في حلبة الاستعمال قائماً أن يروج فيثبت،وأما أن يكسد فيختفي، وقد يدلي بمصطلحين أو أكثر لمتصور واحد ففتسابق المصطلحات الموضوعية وتتنافس في سوق " الرواج" ثم يحكم التداول للأقوى فيستبقيه ويتوازي الأضعف " ¹.

خامساً : وظائف المصطلح النقدي

أما من ناحية الوظيفة فالعمل الاصطلاحي يصطلح بجملة من الوظائف التي تمنحه بعدا شموليا وهذه الوظائف هي: الوظيفة المعرفية والوظيفة التواصلية والوظيفة الاقتصادية والوظيفة الحضارية.

أما الوظيفة المعرفية فتظهر من خلال قيمة المصطلح ودوره في حفظ العلم والمعارف، فالمصطلح " تراكم مقولي يكتنز وحدة نظريات العلم وأطروحاته" ² - كما عبر عنه الدكتور يوسف وغليسي - ضف إلى ذلك أن حفاظ العلم على وجوده مرهون بما يملكه من جهاز اصطلاحي يحتويه فكريا ويمنحه صفة مشروعية .

أما الوظيفة التواصلية فتتخلص في كون الجهاز الاصطلاحي يوفر مادة غنية هي بمثابة الجسر الواصل بين الباحث ومجال بحثه، فكما أن لكل مجتمع لغته بل شفرته التي تمكن أفرادها من تحقيق التكيف الاجتماعي، فإن لكل علم مصطلحاته الخاصة به، والتي لا يمكن ولوجه ولا فهمه إلا من خلالها فالمصطلح " نقطة الضوء الوحيدة التي تضيء النص حينما تتشابك خيوط الظلام وبدونه يغدوا الفكر كرجل أعمى في حجرة مظلمة، يبحث عن قطعة سوداء لا وجود لها" ³. كما تتجلى الوظيفة الاقتصادية للمصطلح فيما يمنحه هذا الأخير من طاقة استيعابية وقوة تخزين لكم كبير من المعارف ، بحيث يمكن التعبير عن عدة مفاهيم بلغة اصطلاحية تسهم في منحها الدقة والاختصار والاقتصاد .

وإذا كانت الوظيفة الاقتصادية تعمل على إضفاء الدقة على المعارف وتوفير الجهد على الباحث في علم ما، فإنه في المقابل يعمل المصطلح على توسيع الدائرة ليأخذ بعدا حضاريا ذلك أن اللغة الاصطلاحية لغة عالمية بامتياز فهي ملتقى الثقافات الإنسانية وهي الجسر الحضاري الذي يربط لغات العالم بعضها ببعض وتتجلى هذه الوظيفة خصوصا في آلية الاقتراض

¹ عبد السلام المسدي، المصطلح النقدي، المرجع السابق، ص 15.

² يوسف وغليسي، اشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، المرجع السابق، ص 42.

³ المرجع نفسه، ص 47.

"Emprunt"، التي لا غنى لأية لغة عنها، حيث تقترض اللغات بعضها من بعض صفات صوتية تضل شاهدا على حضور لغة ما حضورا تاريخيا ومعرفيا وحضاريا في نسيج لغة أخرى، وتتحول بعض المصطلحات - بفعل الاقتراض- إلى كلمات " دولية" (Internationaux) من الصعب أن تحتكرها لغة معينة، ومن الصعب أن تنتسب إلى لغة بذاتها، فيتحول المصطلح إلى وسيلة لغوية وثقافية للتقارب الحضاري بين الأمم المختلفة.

سادسا: إشكالية المصطلح النقدي وجهود الباحثين العرب في الحد من الإشكالية

❖ إشكالية المصطلح النقدي في النقد العربي الحديث :

نتار بين حين و آخر "مشكلة المصطلح النقدي" بما يثار من مشكلات أدبية أو فكرية، ومن يتابع حركة حركة التأليف في هذا القرن لا يجد مشكلة بالمعنى الدقيق، فهناك تراث عربي ضخم يتمثل في أكثر من "ألف وخمسمائة مصطلح أدبي وبلاغي ونقدي"، ولو رجع من يرفع شعار " إشكالية المصطلح" إلى ذلك التراث لوجد الطريق ممهدا .

إن انقطاع بعض المهتمين بقضايا الأدب ونقده عن التراث العربي أدى إلى هذه المشكلة المتصورة أو المفتعلة، ولو أدرك المنقطعون مسالك الغربيين وعودتهم إلى التراث اليوناني والروماني لرأوا السبيل واضحا للعيان" ومما أدى إلى هذه المشكلة أن بعضهم لا يعرف الظروف التي نشأ فيها المصطلح و الأسباب التي دفعت إلى وضعه ولم يطلع على الأدب الأجنبي إطلاعا يؤهله لفهم المصطلح فهما دقيقا، واكتفى بما يكتب عن الأدب من مقالات أوقعت في الخلط والاضطراب¹.

إن مشكلة المصطلح النقدي حدثت من الفوضى التي يعيشها التأليف والترجمة مما زادها خلا واضطرابا:

أ- اختلاف ثقافة المؤلفين أو الباحثين وهو ثلاثة أنواع² :

الأول : ذو ثقافة أجنبية يقرأ الأدب ونقده باللغة الأجنبية .

الثاني : ذو ثقافة مضطربة يقرأ الأدب الأجنبي ونقده بالعربية .

الثالث : ذو ثقافة عربية يأخذ من كل فن بطرف.

¹ أحمد مطلوب، في المصطلح النقدي، المرجع السابق، ص 23.

² المرجع نفسه، ص 24 .

لقد أدى هذا الاختلاف في لون الثقافة وطريق تحصيلها إلى أن يأخذ من يقرأ باللغة الأجنبية مصطلحاته عن اللغة التي يعرفها فيقع الاختلاف والتفاوت كما حصل بين المغرب العربي والمشرق العربي، أما ذو الثقافة المضطربة و المعتمد على الترجمات فأمره أكثر اضطراباً ومثله ذو الثقافة العربية الذي لم تتضح أمامه الرؤية ولم يستطع أن يوازن بين ما كان وما يفرضه الواقع الجديد، وهذان الصنفان في حيرة من الأمر فهما يتأرجحان بين المصطلحات العربية والأجنبية، ولن يكون هناك مصطلح عربي إن لم يتوفر عليه رجال يحملون من الثقافة العربية و الثقافة الأجنبية ما يجعلهم قادرين على القول الفصل، وصادرين عن أصالة وتفكير عميق في وضع المصطلحات¹.

ب-اختلاف الأوربيين: أنفسهم في المصطلح ونظرتهم إليه من خلال ثقافتهم الخاصة أو مذهبهم الأدبي والنقدي، ويتجلى ذلك في مصطلح " الصورة" فهي عند العرب غيرها عند الغربيين، وهي عند الرومانسيين تمثل المشاعر والأفكار الذاتية، وعند البرناسيين تعرض الموضوعية، وعند الرمزيين تنقل المحسوس إلى عالم الوعي الباطني، وعند السرياليين تعني بالدلالة النفسية²، وهي عند غيرهم "رسم قوامه الكلمات" وهي: "إعادة إنتاج عقلية، ذكرى لتجربة عاطفية أو إدراكية غابرة ليست بالضرورة بصرية"³.

إن كيف يفهم العربي هذا التفاوت إن لم يفهم الروح الأدبية التي كانت سائدة حين ظهرت ألوان تلك الصور؟ وكيف يحدد مصطلحها ويستعمله ويديره في كتاباته وهو يجهل دلالاته الدقيقة؟.

ج-الاشتراك اللفظي :

في اللغة المنقول عنها واختلاف المترجمين عن اللغات المختلفة .

د-الاشتراك اللفظي :

في اللغة العربية ودلالة المصطلح الواحد على عدة أشياء⁴.

كل هذه الأسباب إذن خلفت جواً غير محمود في الدراسات الأدبية والنقدية، وجعلت بعض الدارسين يتعثرون.

¹ أحمد مطلوب، في المصطلح النقدي، المرجع السابق، ص 24 .

² محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط3، 1964، ص 417 .

³ أحمد مطلوب، في المصطلح النقدي، المرجع السابق، ص 24.

⁴ المرجع نفسه، ص 25.

ومما لا شك فيه أن واقعا النقدي العربي واقع متأزم كون خطابه ما يزال يتخبط في عشواء المناهج الجديدة، ويكابد وعناء المصطلحات البراقة وكثيرا ما تعالت الأصوات والصيحات وهبت المعالجات لتشخيص هذا الفيروس الاصطلاحي الذي طالما حمل جريرة هذا الطاعون!¹.

فراح البعض يعزوا " استغلاق الخطاب النقدي عليه إلى عسر مصطلحاته ظانا أن لو كان الآداء الاصطلاحي على غير ماهو عليه لأمكنه أن يدرك كل العلم الذي حملته اللغة له، وترى البعض قد انبرى مهاجرا يرمي الخطاب النقدي بالألغاز مشهرا بما ظنه إغلاقا في المصطلح، وطاعنا من لا يواسي أمره بتقديم مادة العلم بعد ترك جهازه المصطلحي"².

وقد لاحظ الدكتور "يوسف وغليسي" بأن جل الدراسات والبحوث متفقة على وصف المصطلحات اللسانية و السيميائية التي هي المعين الأساس للقاموس النقدي الجديد بالمشكلة فالدكتور " محمد حلمي خليل" يقرر أن المصطلحات اللسانية "أصبحت تشكل عبئا كبيرا على الدارس الأكاديمي المبتدئ والمتقدم"³، أما عبد القادر الفاسي " يعتقد" أن أهم ما يتسم به وضع المصطلح هو طابعه العفوي، وهي عفوية لا تقتزن بمبادئ منهجية دقيقة، ولا بالاكتراث بالأبعاد النظرية للمشكل المصطلحي، وقد قادت هذه العفوية إلى كثير من النتائج السلبية، وفي مقدمتها الاضطراب والفوضى في وضع المصطلحات وعدم تناسق المقابلات المقترحة للمفردات الأجنبية"⁴.

بينما الدكتور "رشيد بن مالك" يلاحظ أن "ترجمة المصطلح في الخطاب السيميائي المعاصر تتسم بالاضطراب الذي يحول دون بث وتلقي الرسالة العلمية ويؤدي في جميع الحالات إلى نسف الأسس التي ينبغي أن يبنى عليها التواصل العلمي"⁵.

كما أن "فحصا دقيقا للمصطلحية المسخرة في الدراسات النقدية يكشف إلى أي حد هي عميقة حالة الفوضى والتذبذب" لأن هذا "الاضطراب المصطلحي الذي يعد السمة الغالبة في البحوث

¹ يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، المرجع السابق، ص 53 .

² المرجع نفسه، ص 53 .

³ المرجع نفسه، ص 53 .

⁴ المرجع نفسه، ص 53 .

⁵ رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، دار القصة، (د.ط)، 2000، ص 72 .

النقدية صادر عن التسرع في تبني هذا التيار أو ذلك، وعن غياب رغبة حقيقية في تمثيل وفهم جوهر السؤال¹ .

كما سبق أيضا وأن لاحظ "توفيق الزيدي" أن: "المصطلح النقدي اللساني ومسألة نقله إلى العربية يشكل عقبة كبرى أمام هذا البحث، إذ هو يمر بفترة تأرجح وغموض أدت إلى عملية ترادف وخلط كبيرين"² .

بالإضافة إلى الدكتور "وهب رومية" يستشف تلك النزعة التشاؤمية من لغة النقد الجديد، ومن التوظيف الاصطلاحي المضطرب، حيث غدا "الاضطراب في استخدام المصطلح النقدي آفة فاشية يعاني منها النقد العربي المعاصر معاناة قاسية"³ .

وهذا الاضطراب بطبيعة الحال راجع إلى كوننا نرتكب إثما لا يغتفر وهو نقل المصطلح النقدي الغربي (الفلسفي) إلى ثقافتنا العربية التي تختلف عن الثقافة الغربية وفي هذا الصدد يصرح الدكتور "عبد العزيز حمودة" في (مرايا المحدث) بقوله: "حينما ننقل نحن الحدائين العرب المصطلح النقدي الجديد في عزله عن خلفيته الفكرية والفلسفية فإنه يفرغ من دلالاته ويفقد القدرة على أن يحدد معناه، فإذا نقلناه بعوالمه الفلسفية أدى إلى الفوضى والاضطراب، إذ إن القيم المعرفية القادمة مع المصطلح تختلف، بل تتعارض أحيانا، مع القيم المعرفية التي طورها الفكر العربي المختلف"⁴ .

ويؤكد ذلك في (مرايا المقعرة) بقوله: "إننا نرتكب إثما لا يغتفر حينما ننقل المصطلح النقدي الغربي، وهو مصطلح فلسفي بالدرجة الأولى بكل عوالمه المعرفية إلى ثقافة مختلفة هي الثقافة العربية دون إدراك للاختلاف"⁵ .

وعلى العموم، فإن كل الشهادات النقدية المنقولة تشترك في رميها للمصطلح الجديد بسهام الإشكال والإغراب والانغلاق...، ووجه الإشكالية في ذلك أن المصطلح الأجنبي قد ينقل بمصطلح عربي مبهم الحد والمفهوم، أو أن المفهوم الغربي الواحد قد ينقل بعشرات المصطلحات العربية

¹ رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، المرجع السابق، ص 71.

² توفيق الزيدي، أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث من خلال بعض نماذجه، الدار العربية للكتاب، تونس، (د.ط)، 1984، ص 15.

³ وهب أحمد رومية ، شعرنا القديم و النقد الجديد، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، (د.ط)، 1996، ص 40.

⁴ عبد العزيز حمودة، المرايا المحدث من البنيوية إلى التفكيك، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، (د.ط)، 1998، ص 55.

⁵ عبد العزيز حمودة، المرايا المقعرة نحو نظرية نقدية عربية، سلسلة عالم المعرفة، (د.ط)، 2001، ص 09 .

المترادفة أمامه، أو أن المصطلح العربي الواحد قد يرد مقابلاً لمفهومين غربيين أو أكثر في الوقت ذاته، أو أن الناقد العربي الواحد قد يصطنع مصطلحاً فيه كثيراً من التصرف - زيادة أو انتقاصاً- في مقابله الأجنبي...¹

جهود الباحثين العرب في الحد من الإشكالية :

أمام تعثر المنهج في دراسة المصطلح اللغوي والنقدي وتعثر تأسيسه وأمام ما تمخض عنهما من آثار سلبية تصدى عدد من الباحثين العرب لوضع مقترحات تحد من تأزم الحالة الراهنة، وسأكتفي بعرض رؤيتي باحثين هما: أحمد مطلوب، وفاضل ثامر، وقد قدمت مقترحاتهما في ورقتي عمل لمؤتمر النقد الخامس عام 1994 المنعقد في جامعة اليرموك في الأردن وقد كان محور هذا المؤتمر المصطلح اللغوي والنقدي.

يحدد أحمد مطلوب خطوات الحد من هذا التأزم في ضوء التوجه لوضع معجم حديث وهذه الخطوات هي:

1- رصد المصطلحات النقدية العربية والوقوف على دلالاتها وتغييرها في العهود المختلفة وذلك من أجل :

أ- تدوين المصطلحات التي لا تزال شائعة في الدراسات الأدبية النقدية الحديثة².

ب- الاستعانة بها في وضع المصطلحات الجديدة لما لم يوضح له، أو وضع له مصطلح ولم يشع، أو لم يتفق عليه الأدباء والنقاد والباحثون.

ج- نقل المصطلحات القديمة عند الضرورة من معانيها القديمة إلى المعاني الجديدة بطريقة التوليد.

2- جرد أهم الكتب الأدبية والنقدية الحديثة، واستخلاص المصطلحات النقدية التي استعملت في هذا القرن والاتفاق على مصطلح دقيق للدلالة على المعنى الجديد.

3- جرد أهم كتب مصطلحات الأدب و النقد الحديثة والمعاصرة .

4- جرد أهم كتب الفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع والفنون، واستخلاص المصطلحات التي تتصل بالنقد الأدبي .

¹ يوسف وغيلسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، المرجع السابق، ص55.

² ابراهيم أحمد ملحم، الخطاب النقدي و قراءة التراث نحو قراءة تكاملية، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2007، ص 168، 169.

- 5- جرد أهم كتب اللسانيات لما بينها وبين الأدب ونقده من وشائج وصلات ظهرت في التيارات الحديثة والمناهج الجديدة.
- 6- جرد أهم كتب الأدب والنقد واللسانيات المترجمة.
- 7- الاطلاع على بعض موسوعات الادب الأجنبي نقده بلغتها الأصلية.
- 8- الاستعانة ببعض المعاجم اللغوية الأجنبية لتحديد معنى الاصطلاح اللغوية والوقوف على دلالاته كما تصورها تلك المعاجم، والصلة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي وطريقة انتقال دلالاته.
- 9- تعريف المصطلح تعريفا لغويا واصطلاحا والوقوف على اختلاف المذاهب الأدبية في تحديده، وذكره بلغة أجنبية واحدة أو أكثر لمعرفة المقابل الأجنبي، والاستفادة منه في الترجمة والتأليف.
- أما فاضل ثامر فيقدم المقترحات الآتية¹:
- 1- العمل على وضع معجم اصطلاحي خاص بمصطلحات النقد الأدبي، يوحد الجهود الفردية والجماعية، ويضع قواسم مشتركة ومقبولة من قبل المترجمين والباحثين والنقاد العرب .
- 2- السعي لتأسيس مصرف للمصطلحات النقدية .
- 3- السعي لحل الإشكال الناجم أحيانا عن ترجمة المصطلح من عدد من اللغات الأجنبية الأصلية وذلك عن طريق عمل جماعي مشترك يعتمد على دلالة المصطلح المعرفية لحل أي لبس أو اختلاف محتمل.
- 4- تشجيع المؤسسات الثقافية والجامعية والمجامع العلمية والعربية وهيئات التعريب في الوطن العربي على مواصلة العمل على نشر المعاجم الاصطلاحية وعقد المزيد من الندوات والحلقات الدراسية الخاصة بالمصطلح النقدي العربي و القديم منه خاصة .
- 5- حث المترجمين والباحثين والنقاد على ضرورة اعتماد الأسس العلمية في وضع المصطلحات أو ترجمتها أو تعريبها واعتماد مبادئ وضع المصطلحات التي أقرتها المجامع العلمية ومكتب تنسيق التعريب بالرباط.

¹ ابراهيم أحمد ملحم، الخطاب النقدي وقراءة التراث نحو قراءة تكاملية، المرجع السابق، ص 169-170-171.

الفصل الثاني:

المصطلح النقدي من خلال كتاب نظرية النص

لحسين خمري

الفصل الثاني: المصطلح النقدي من خلال كتاب نظرية النص لحسين خمري

أولاً : مصطلح النص " الدلالة والمفهوم من خلال المدونة"

إن اشتغال مصطلح النص وطرائق توظيفه داخل المدونة ووفق منطلقات الناقد يقف على تصورين أساسيين يبني عليهما حسين خمري دراسته حول هذه الماهية، ويتمثل ذلك في السياقين اللذين اعتمدهما في البحث والتحليل وهما: السياق الثقافي الغربي بمختلف تياراته النقدية واللسانية والسيميائية، إذ قدم الباحث فهمة لهذا المصطلح من خلال استحضار زخم كبير من النظريات المختلفة والتوجهات على تعريف النص في حقل اللسانيات النصية، وعند علماء النص مثلما نجده عند فان دايك.

❖ النص في اللغة:

جاء في لسان العرب: (نصَّص)، النص تعني رفعك الشيء و(نصَّص) المتاع: جعل بعضه فوق بعض، و(نصَّ) الرجل نصًّا : إذا سأله عن شيء حتى يستقصي ما عنده، و(نصَّ) كل شيء منتهاه، وكل ما أظهر فقد نُصَّ، أي وُضع على المنصة، فهو على غاية الظهور والشهرة¹.
 إن المتأمل في مصطلح (النص) في المعاجم العربية القديمة لا يجد اختلافا يذكر في معنى هذا المصطلح، فما نجده في لسان العرب نجده في تاج العروس للزبيدي المتوفى 852هـ في شرحه لكتاب الزمخشري.

هكذا يذهب مؤلفو المعجم الوسيط ويجعلون هذا المعنى الأخير مؤكداً، ولكنهم يكتفون بصيغة كلام المؤلف دون القائل وكأنهم يلمحون إلى الصفة الكتابية للنص، وهذا غير صحيح، فالنص كما يفهمه العرب الآن هو صيغة الكلام المنقولة حرفياً سواء أكانت نطقاً أم كتابةً.

❖ النص في النقد العربي:

من بين الدارسين الذين عرضوا لمفهوم النص الناقد "عبد المالك مرتاض" إذ يرى أن النص: "شبكة من المعطيات اللسانية والبنوية والأيدولوجية تتضافر فيما بينها لتكون خطاباً، فإذا استوى مارس تأثيراً عجبياً من أجل إنتاج نصوص أخرى، فالنص قائم على التجديدية بحكم مقروئته،

¹ ابن منظور جمال الدين أبو الفضل، لسان العرب، المجلد الأول، دار صادر، بيروت، 1990، مادة (نصص)، ص272.

وقائم على التعددية بحكم خصوصية عطائته، تبعاً لكل حالة يتعرض لها في مجهر القراءة، فالنص من حيث هو قابلية للعطاء المتجدد بتعدد تعرضه للقراءة¹.

ولعل هذا ما تطلق عليه "جوليا كريستيفا" (انتاجية النص) حيث إنه يتخذ من اللغة مجالاً للنشاط، فتراه يتردد إلى ما لا نهاية، محدثاً بعداً بين لغة الاستعمال الطبيعية، وهي اللغة المسخرة لتقديم الأشياء والتفاهم بين الناس والحجم الشاغر للفعاليات الدالة².

أما "سعيد يقطين" فإنه ينظر إلى النص على أنه موضوع مجرد مفترض، على أنه نتاج لغتنا ومنه يقول: "النص مظهر دلالي يتم خلاله إنتاج المعنى من لدن المتلقي"³.

❖ النص في الثقافة الغربية :

حين نعود إلى الأصل اللاتيني لكلمة (نص) في اللغات الأوروبية، فإننا نجد كلمتي (Text) (Texte) مشتقتين من (textus) بمعنى "نسيج" المشتقة بدورها من (Textere)، بمعنى "نسيج" وفي هذا السياق يريد "رولان بارت" تعريف النص بقوله: "إن الدراسة المعجمية للكلمة تكشف أنها تدل على النسيج، ومن هنا يمكن أن نقول إن نسيج الكلمات يعني تركيب النص، إنه نسيج من الكلمات ومجموعة نغمية وحسم لغوي"⁴.

فكأن النص بهذا المعنى البارتي نسيج للكلام الناشئ من فعل الكتابة التي تشبه من بعض وجوهها عملية النسيج حين ينسج، وهذه الدلالة مسؤولة إلى حد كبير عن فهم النقاد المعاصرين للنص على أنه نسيج لفظي ناشئ من توجيه رسالة إلى متلقين، وهو نسيج قابل للتفكيك والتحليل وإعادة التصور وإمكانية التداخل واحتمال التقاطع ...

ولعل هذا المعنى يحيل كذلك إلى الجهد والقصد وعلى الاكتمال والاستواء، أفليس النسيج مجموعة من العمليات التي يتم بمقتضاها ضمّ خيوط السدى إلى خيوط اللحمة لتحصل على نسيج ما يعتبر نتوجاً لهذه العمليات.

¹ عبد المالك مرتاض، دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة أين ليلاي. لمحمد العيد آل خليفة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992، ص 55.

² المرجع نفسه، ص 57.

³ سعيد يقطين، الرواية والتراث السردي من أجل وعي جديد بالتراث، المركز الثقافي، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1992، ص 23.

⁴ حسين خمري، نظرية النص، ص 44.

وسنحاول مقارنة هذا المصطلح من منطلق المنهج الاجتماعي والبنوي والسيميائي لأننا وجدنا عدة علائق تربط مضمون المدونة بهذه المناهج غير متناسين أطروحات علم النص .

❖ النص من منظور السوسولوجيين :

ينطلق النقاد الاجتماعيون من مسلمة ارتباط النص الأدبي بمحيطه الذي نشأ وترعرع فيه، ولذلك فهم يرون أن النص " بنية دلالية تنتجها ضمن بنية نصية منتجة في إطار بنية أوسع اجتماعية وتاريخية وثقافية " ¹.

أما " فان دايك "فيرى" أن النص نتاج لفعل ولعملية إنتاج من جهة، وأساس لأفعال وعمليات تلق واستعمال داخل نظام التواصل والتفاعل من جهة أخرى، وهذه العمليات التواصلية الأدبية تقع في عدة سياقات تداولية ومعرفية وسوسيوثقافية وتاريخية تحدد الممارسات (النصانية) النصية وتتحدد بواسطتها ².

❖ البنيوية ومفهوم النص:

تعرف البنيوية بعزلها النص عن كافة السياقات الخارجية، وقد قدم "رولان بارت" في بحثه (من العمل إلى النص) 1971 نظرية مركزية عن طبيعة النص يمكن إيجازها في ما يلي ³:

1- في مقابل العمل الأدبي المتمثل في شيء محدد بارت بمقولة النص، الذي لا يتمتع إلا بوجود منهجي، ويشير إلى إنتاج، وبهذا لا يصبح النص مجربا كشيء يمكن تمييزه خارجيا، وإنما كإنتاج متقاطع يخترق عملا أو عدة أعمال أدبية (فالعمل) يحمل باليد و(النص) تحمله اللغة.

2- النص قوة متحولة تتجاوز الأجناس والمراتب المتعارف عليها، لتصبح واقعا نقيضا يقاوم الحدود وقواعد المفهوم و المعقول .

3- يتكون (النص) من نُقول متضمنة وإشارات وأصداء للغات أخرى، وثقافات عديدة تكمل فيه قائمة التعدد الدلالي.

4- النص مفتوح يتجه إلى القارئ في عملية مشاركة، لا مجرد استهلاك فممارسة القراءة هي إسهام في تأليف النص .

¹ محمد عزام، النص الغائب (تجليات التناص في الشعر العربي)، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001، ص 14.

² المرجع نفسه، ص 15-16 .

³ المرجع نفسه، ص 15-16 .

إن النص من المنظور البارتي ليس موضوعا ولكنه عمل واستخدام، وليس مجموعة من الإشارات المغلقة المهمة بمعنى يجب العثور عليها، ولكنه حجم من الآثار التي لا تكف عن الانتقال ، وبهذا فالبنوية تجعل النص بنية مغلقة.

❖ النص من المنظور السيميائي :

تنظر السيميولوجيا للنص من حيث خصوصية الانفتاحية لا كمنتج و لكن كدليل منتج ومتعدد الدلالات عكس المقاربات التقليدية التي تعتبر النص عملا مغلقا ومعنى محدودا. وتبحث " كريستيفا" مقاربتها النصية عن تعدد الدلالات من خلال ما نسميه بـ "التدليل" والتدليل يختلف عن الدلالة كونه " عملية تنقلت من خلالها ذات النص من منطلق الأنا إلى منطلق آخر، يتم فيه تحاور المعنى وتحطيمه على اعتبار النص نمطا إنتاجيا دالا يحتل مكانة هامة في التاريخ .

والعلم الجديد الذي يدرس النص وفقا للمنظور الذي تتبناه "كريستيفا" في أبحاثها "السيميائية التحليلية" الذي ينطلق من اللسانيات باعتبار النص إنتاج لغة وإن كان هذا العلم ينطلق من اللسانيات فهو يتجاوزها لسبب بسيط هو أن النص ليس مظهرا لسانيا، بمعنى أن دلالاته المبنية لا تتقدم إلينا في إطار متن لساني منظور إليه كبنية مسطحة. بل هو توليد مسجل في هذه الظاهرة اللسانية، وتبعاً لذلك يغدو النص الظاهر هو النص المسجل عن طريق الطبع، لكنه لا يكون قابلاً للقراءة إلا إذا سعدنا عمودياً عبر التكوين، تكوين مقولاته اللسانية من جهة، ومن جهة ثانية طوبولوجيا العقل الدال¹.

هذا، وقد قرنت السيميائية مصطلح النص بمصطلح التناص ولهذا يكون النص عبارة عن مجموعة متداخلة من النصوص حسب كريستيفا.

حيث يميز سولرز بين ثلاثة مستويات للنص²: طبقة سطحية وطبقة وسطى وطبقة عميقة فالطبقة السطحية للنص هي الكتابة (الألفاظ والجمل والمقاطع...) أو ما هو مكتوب فعليا وهي تقرأ بوضوح، والطبقة الوسطى هي التناص أو الجسد المادي للنص وهو لا يكتب من جمل أو كلمات وإنما هو من نصوص، حيث تتقاطع الكتب فيما بينها وتحمل إلى نطاق أبعد من حدودها، وذلك

¹ سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي، المرجع السابق، ص12.

² محمد عزام، النص الغائب، المرجع السابق، ص 23.

داخل النص المجمل ويمثل سولرز للتناص بالكوميديّة الإلهية لدانتى (اختراقية الكتابة)، وإما الطبقة العميقة فهي الكتابة أو انفتاح اللغة.

ويبدو أن كريستيفا - وبناء على هذه الأطروحات التي تقدمت - تكون قد استفادت إلى حد كبير من منجزات الشكلانيين الروس ومن منهجهم، بالإضافة إلى أن المفاهيم التي أثارها حول نظرية النص الأدبي لاقت صدى وتجاوبا كبيرين لدى الدارسين الذين وجهوا جهودهم باتجاه دراسة علم النص .

مفهوم النص بين التراث العربي والتراث الغربي :

قصد الوصول إلى مقارنة أصل الاشتقاقين يجب العودة إلى الاشتقاق عند العرب ، فقد ورد في لسان العرب في مادة (نصص) أن: " النص: رفعك الشيء، نصّ الحديث ينصّه نصّا: رفعه، وكلّ ما أظهر فقد نصّ، وقال الأزهري (ت37هـ): النص أصله بمنتهى الأشياء ومبلغ أقصاه. ومنه قولك : نصصت الرجل إذا استقصيت مسأله عن الشيء حين تستخرج كل ما عنده، وكذلك النص في السير إنما هو أقصى ما تقدر عليه الدابة، وانتصّ الشيء وانتصب إذا استوى واستقام"¹.

والأصل اللاتيني يحيل على النسيج ويوحى بالجهد والقصد، ولعله يوحي بالكمال والاستواء، بينما يحيل الأصل في اللغة العربية على الاستواء والكمال، وعلى النسيج أيضا على الرغم من أن ابن منظور في مادة (نصص) لم يشر إلى ذلك، ولكن إذا عدنا إلى مادة (ن،س،ج) نجد ما يحصل على ذلك "نسيج" النسيج ضمّ الشيء إلى الشيء، هذا هو الأصل، و الريح تنسج الماء إذا ضربت منته فانتسجت له طرائق كالحبك .

ومن الدارسين من يستخلص خصائص النصّ بمعناه الحدائثي من التفسيرات المعجمية التراثية العربية، فهذا "منذر عياشي" يعرف النص استنادا إلى قراءته، لا سيما ما ورد في تفسير مادة (ن،ص،ص) ويمزج ذلك بما تحقق له من القراءات الحدائثية لتعريف النص في اللغات الأوربية، فيقول: " فالنص دائم الإنتاج لأنه مستحدث بشدة، ودائم التخلق لأنه دائم في شأن ظهورا وبيانا، ومستمر في الصيرورة لأنه متحرك، وقابل لكل زمان ومكان لأن فاعليته متولدة من الذاتية النصية"².

¹ ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ج 6، ص 649.

² منذر عياشي، (النص ممارساته وتجلياته)، مجلة الفكر العربي المعاصر، ع 96-97، 1992، ص 55.

إن عملية التتقيب في المعاجم العربية عن مفهوم مصطلح النص تفضي بصاحبها إلى نتيجة مؤداها أن هذا المصطلح حيثما ورد إلى معنى مشترك ألا وهو الظهور والارتفاع¹. وتلتقي الدلالة اللغوية مع الدلالة الاصطلاحية، وبناء على هذا الأفق في تحديد دلالة مصطلح النص لغة واصطلاحاً يتبين أنه لا يحيل على فن القول الأدبي (الإنشائي)، الذي يعد ضرباً من الكلام، ولكن يحيل على ذلك الضرب من الكلام الخبري، حيث يكون التحديد جلياً لا يخالطه لبس.

أما دلالة المصطلح في التراث اللغوي الغربي فسبق أن ورد أنها تحيل إلى معنى النسيج، مع ما تحمله هذه الكلمة من دلالة في المجال المادي، "وقد نتج عنها اشتقاقات لا تخرج عن هذا المعنى الأصلي ثم نقل هذا المعنى إلى نسيج النص، ثم اعتبر النص نسجاً من الكلمات، وإنّ العلاقة لبينة في هذا النقل فإذا كان النسيج المادي يتكون من السدى واللحمة والمنوال... فإنّ النص يتكوّن من الحروف والكلمات المجموعة للكتابة"².

وإذا عدنا إلى الدلالة الاصطلاحية فإننا نجد أنها تحيل على سلسلة من ملفوظات لسانية تؤلف تعبيراً حقيقياً سواء أكان مكتوباً أم شفهياً .

ما يلاحظ أنه لا يوجد تباعد بين الدلالة اللغوية ومصطلح النص والدلالة الاصطلاحية في الثقافة الغربية، فالمعنى المعبر عنه يحمل دلالة التشابك والتلاحم "وقد بيّن الدكتور محمد مفتاح" كيف أن كلمة "نسيج" التي تعود في أصولها إلى المجال الصناعي، قد استطاعت أن تكتسب الدلالة نفسها في حقل المعرفة النقدية، ولعل ما ساعد على تأكيد هذه الدلالة في الثقافة الغربية هو بروز علم الكتابة"³.

ثانياً : علاقة مصطلح النص بالمصطلحات الأخرى في المدونة

وأهمّ المصطلحات التي يمكن أن نقاربها تحت هذا العنوان التي ترتبط من قريب أو من بعيد بمصطلح النص في هذا السياق كما يلي: مصطلح علم النص، نظرية النص، النص الكتابة، النص الأدبي، النص إنتاجية، حدود النص، النص العام السيميائي، تأويل البنية الكلية للنص.

¹ ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، مادة نصص، ص 625.

² عبد الغني بارة، إشكالية تأصيل الحداثة في الخطاب النقدي العربي المعاصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.ط.)، 2005، ص 226.

³ المرجع نفسه، ص 326.

* علم النص: يورد المؤلف مصطلح علم النص مشيراً إلى الأرضية التي بنى عليها المفاهيم التي عالجه في مدونته، ويحيل في ذلك إلى العالم "فان دايك"، ومن مظاهر هذا الظهور المصطلحي قول الناقد: "...إذا كان علم النص يحدد موضوعه بدراسة بنيات نص معين أو مجموعة من النصوص وتحليل مختلف مستوياتها فإن نظرية الأدب تهتم بالنص من حيث هو منتج ثقافي وتحلل ظروف وشروط إنتاجه وطريقة تداوله داخل نظام ثقافي وسياق حضاري مخصوص"¹.

في هذا التوظيف يبين الناقد الفرق بين مجال اهتمام علم النص ومجال اهتمام نظرية الأدب، ويبرز النقلة النوعية التي حدثت على مستوى النظر النقدي، بحيث أصبح علم النص هو المفهوم الذي تكتمل في إطاره الرؤية الصحيحة للنص. كما يوضح الناقد "حسين خمري" أن علم النص يحمل صبغة علمية، وبذلك يكون مجاله تطبيقياً من خلاله يتمثل الناقد أطروحات العلم وتصطبغ نتائج الفحص النقدي بالدقة العلمية وهو بهذا يتجاوز الطابع التأملي الذي تتميز به نظرية الأدب. وفي هذا يتوجب علينا أن نقف على توضيح دلالة هذا المصطلح في السياق النقدي، فما مدلوله في ذلك؟ .

* علم النص مفهوم جديد استقر استخدامه في اللغة الفرنسية منذ عام 1982 للدلالة على تحليل وتفسير أي نمط من النصوص والسياقات المتعددة التي ترتبط بها معتمداً في تحقيق ذلك على مفاهيم العلوم الإنسانية ومبادئها، من أجل فهم وشرح قرارات أو تصرفات الأفراد أو الجماعات من خلال بنيات نفسية تبين مضامين أو أهداف معينة².

وانطلاقاً من هذا المفهوم يبدو أن الباحث "حسين خمري"، باعتماده على أطروحات علم النص فإنه يوسع من هذا المفهوم ليلبغ أقصاه فلا يبني أي نمط من النصوص، وهذا ما أدى إلى قوله النص الآخر الذي يترفع على أشكال النقد ويتجاوز كل المناهج المعدة سلفاً³ وهو كذلك نص التأويل الذي عناه الباحث .

¹ حسين خمري، نظرية النص، ص 22.

² سمير حجازي، المتقن في معجم المصطلحات اللغوية والأدبية الحديثة، ص 187.

³ حسين خمري، نظرية النص، ص 10 .

***نظرية النص:** إن تحديد مفهوم نظرية النص كما ورد في دراستنا للعنوان إذ يعني قوله " مصطلحا يستخدم للدلالة على النقد المباشر ككل لغة وصفية ومراجعة لخصائص الخطاب، وتحديد سمات النص وقواعده من حيث الشكل أو الجنس، من حيث الكلام ودور الألفاظ"¹.

***النص المكتوب:** يرد مصطلح النص في المدونة لصيقا بمصطلح الكتابة وبصيغ متعددة تحيل إلى ما يشتغل في فكر الناقد من قناعات نقدية يمكن لنا أن نكشف عنها من خلال التوظيف الإصطلاحي لهذا المفهوم وعلاقته بالمصطلح المركزي للنص ويورد "خمري" في هذا الشأن: " النص الكتابي هو النص الحديث الذي يدعو إليه "بارت" وهو نص يمثل الحضور الأبدي..."²، وفي هذا السياق يوضح الناقد مدلول النص الكتابي ودور الناقد إزاء النص حيث يمنحه وظيفة إيجابية تتعدى مجرد الاستقبال السبلي أو الاستهلاك إلى دور إعادة الإنتاج عبر فعل القراءة المنتجة .

ورغم أن الناقد قد أشار في مدونته إلى ما يقصده بفعل الكتابة معرجا على ما ورد في التراث النقدي عند "الجاحظ"، وما ورد في النقد المعاصر عند " دريدا" إلا أن ما يعنينا في هذا المقام هو رصد دلالة هذا المصطلح وطبيعة حركيته في عمل الناقد .

ولعل أول ما ينبغي أن نوليه اهتماما خاصا في إطار معالجة مفهوم الكتابة عند الناقدة "جوليا كريستفا" هو اعتمادها على مصطلح "الكتابة" في مقابل مصطلح "الأدب"، وتتحصر ماهية الأدب عند الناقدة " جوليا كريستيفا" في كونه يمثل ممارسة دالة تتمتع بخصوصية كامنة في ذاتها، وهي الطبيعة التي لا يمكن للفظه (أدب) أن تحملها، ذلك أنها في اللغات الغربية مترجمة عن اللفظة اليونانية (Gramatiké) بمعنى المعرفة، نص كتابة الحروف وهي بهذا تدل على كل شيء قيد الكتابة على وجه التعميم ثم استعملت للإشارة إلى الكتب العظيمة دون النظر إلى موضوعاتها³.

***النص / إنتاجية:**

يطغى مصطلح الإنتاجية بصورة واضحة وجلية على أغلب مساحة المدونة ويشكل حضوره علامة مميزة ذات دلالات متنوعة تحيل إلى مدى تأثر المؤلف في أفكاره التي ضمنها مدونته،

¹ سمير حجازي، المتقن في معجم المصطلحات اللغوية و الأدبية الحديثة، مرجع سابق، ص229.

² حسين خمري، نظرية النص، ص62.

³ غنيمي هلال، الأدب المقارن، دار العودة، بيروت، 1987، ص45.

ويظهر في صيغ مختلفة كإنتاج ومنتوج وإنتاجية... الخ، ويمكن أن نقرأ ذلك من خلال استعماله هذا المصطلح وفي ارتباطه بمصطلح دراستنا أي النص، يقول خمري: "من هذا المنظور يمكن أن نقارب علم النص باعتباره إنتاجية (بالمفهوم اللاكاني) لأن الإنتاجية هي نوعية خاصة وفريدة في الإنتاج"¹.

وفي حديثه عن النص يقول: "كما يمكن اعتباره (النص) حسب كريستيفا وذلك عندما يتعلق الأمر بحقل إنتاج أو تحولات النص، وهو -أي النص- إنتاج سيميائي بالدرجة الأولى يتم فصل داخل نظام ثقافي محدد يولد حقيقة اجتماعية وتاريخية معينة". "لأن النص لا يمكن إنتاجه إلا ضمن فضاء ثقافي، و لا يمكن فهمه وتأويله إلا من خلال مجموعة معينة من القيم والمقولات التي تركزها مجموعة ثقافية معينة"².

وسنقف عند هذه الشواهد التي لا تمثل سوى تمثيلاً جزئياً وبسيطاً إذا ما قورنت بالحضور الكثيف لهذا المفهوم لنحاول أن نجلي دلالاته ومفهومه وعلاقاته المرجعية وكذا سرّ هذا التطبيق المصطلحي الذي يشتغل عليه الناقد حسين خمري فما هو مدلول هذا المصطلح؟.

هذا المصطلح استخدمته "جوليا كريستيفا" للدلالة على أن علاقة النص باللغة علاقة توزيعية قائمة على أساس هدم وبناء للاستخدام الشائع باعتبار أن النص جهاز غير لغوي يعيد توزيع نظام اللغة بواسطة إقامة علاقة بين الكلام الاتصالي وبين مختلف أنماط الملفوظات السابقة والتالية، أي أن إنتاجية النص عملية مرتبطة بمفهوم التناص بطريقة مباشرة³.

وقد لجأت كريستيفا إلى مفهوم الإنتاجية لأنها أدركت أن هذا المفهوم هو الذي يسمح بتجاوز ثبات نسق النص وانغلاقه خاصة وأن فكرة الانغلاق ضللت كثيراً من البنيويين وألقت بالبنيوية الصورية إلى الانسداد، فإذا سلمنا بأنّ النسق معطى أولي مرتبط بلا وعي العقل البشري وكونيته، فلا يحتم علينا ذلك إغفال حركيته وتحولاته وانتظامه الداخلي، فهو لا يفقد أساسه الجوهرية، ولكنه يملك مرونة التحولات، ويستوجب لمقتضيات التغيرات، فيتكيف معها دون أن يتلاشى جوهره⁴، ويعود إلى طرح جوليا كريستيفا لهذا المفهوم إلى عام 1967.

¹ حسين خمري، نظرية النص، ص 30

² المصدر نفسه، ص 37.

³ د. سمير حجازي، معجم المصطلحات اللغوية والأدبية الحديثة، مرجع سابق، ص 168.

⁴ أحمد يوسف، القراءة النسقية ومقولاتها النقدية، دار العرب، ط1، 2001_2002، ج 2، ص 37.

وقد ارتبطت إثارة هذا المفهوم عند الناقدة بنقد التمرکز الغربي حول اللوغوس الذي وجه فهم الحضارة الغربية للأدب منذ أفلاطون حيث تم النظر إليه بوصفه منتوجا وليس إنتاجية وهو التصور الذي ولد في رأي كريستيفا المحتمل الذي يمثل بالنسبة لها مجموعة القواعد التي تعمل عمل الكاتب، والتي تنحصر في عنصرين:

1- المحتمل الدلالي.

2- المحتمل التركيبي.

ومن هذين العنصرين يقوم المحتمل الذي يشكل بالنسبة للكاتب المبدأ والمنطلق قبل أن يكون طريقة خاصة في الكتابة، كما تكون محكومة بيقينه لا بفكره، ويغدو النص قارا في حيز الاستهلاك حيث يبلور نطاقا كاملا بينه وبين القانون والعرف أي بينه وبين ما هو مقبول اجتماعيا.

وبهذا نخلص إلى أن "كريستيفا" بطرحها لمفهوم الإنتاجية تنتقد المنظور الغربي للنص من جهة، وتؤسس من جهة أخرى مفهومها الخاص للنص باعتباره عملية غير لسانية. لقد ورد مصطلح الإنتاجية في المدونة في سياق تقديم "فان دايك" لفرضياته التي تحاول موضعة مفهوم الأدب.

لكن ما العلاقة بين ما قدمه "فان دايك" وأطروحات "كريستيفا"؟ ثم ما علاقة كل ذلك بما يقصد "خمري" إلى طرحه؟.

وما نلاحظه في هذا السياق أن هذه الناقدة ترى بأن النص إنتاجية هذا المفهوم بتشديد الصلة بمصطلح الإنتاج الذي كثيرا ما نجده يتردد في كتابات "ماركس" التي تأثرت بها الناقدة، فقد تناول ماركس بالدراسة أنماط الإنتاج وعلاقاته وقواه ووسائله¹.

وما نخلص إليه أنّ هناك ارتباط وثيق بين ما طرحته "كريستيفا" وفكر ومرجعية الناقد "حسين خمري" يتجلى ذلك من خلال اعتماد الجهاز الاصطلاحي الذي يدور في فلك لغة الناقدة "كريستيفا".

¹ عمر أوكان، مدخل لدراسة النص والسلطة، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط 1، 1994، ص 55.

*النص/ التأويل:

لقد اشتغل الناقد وبشكل كبير على مصطلح التأويل وارتبط في مواضع عدة بمصطلح النص، ومن مظاهر هذا التوظيف نذكر قوله: "إنه النص المثال الذي لا يمكن الوصول إليه بسهولة وهو نص التأويل...¹"، كما ورد هذا المصطلح في سياق تحليل المؤلف لدلالة مصطلح النص عند علماء الأصول وركز عليه بشكل واضح فتحدث المؤلف عن معنى الظاهر والمجمل والمفسر وغيرها، وحللها بالقياس إلى ما يقبل التأويل وما لا يقبله، وقد أتى ذلك على لسان الناقد كقوله: "وقد أورد أبو حامد الغزالي تعريفه: النص هو الظاهر ثم أردف: "ينقسم إلى ما يقبل التأويل وما لا يقبله...²". وسنعمد إلى فكّ شفرة المصطلح لغويا واصطلاحيا وكذا في السياق النقدي، فما هو مدلوله تبعا لذلك؟

التأويل: نجد في لسان العرب لابن منظور أن التأويل هو إدراك المرجعية والمال، وما لا يفصح عنه ظاهر اللفظ فيحتاج إلى دليل يكتشف بما وراء الظاهر فالأول هو الرجوع... وأول الكلام وتأويله: دبره وقدره.. وفسره، وهو ظاهر اللفظ عن وضعه الأصلي إلى ما يحتاج إلى دليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ، والتأويل والتأول: تفسير الكلام الذي تختلف معانيه، ولا يصح تبيان غير لفظة وعلم التأويل مما ينبغي أن ينظر فيه... والتأويل عبارة الرؤيا...³.

وفي الاصطلاح: التأويل عند الراغب الأصفهاني هو الرجوع إلى الأصل، رد الشيء إلى الغاية المرادة منه، علما كان أو فعلا، ففي العلم نحو قوله تعالى ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾⁴، وفي الفعل كقول الشاعر: وللنوى قبل يوم البين تأويل⁵.

إذن لقد ربط حسين خمري مصطلح النص بمفهوم التأويل وتحدث عن نص التأويل هذا المصطلح الذي يحمل شحنات دلالية متنوعة ومتعددة بل ومتناقضة إذا ما نظرنا إليه من زاوية

¹ حسين خمري، نظرية النص، ص 10.

² المصدر نفسه، ص 155.

³ مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة،

مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط8، 2005، ج1، ص866.

⁴ الآية 7 من سورة آل عمران .

⁵ الراغب الأصفهاني [المفردات في غريب القرآن]، مادة: أول، طبعة دار التحرير، القاهرة، ص 91.

اختلاف الثقافة العربية الإسلامية عن الثقافة الغربية ونحن نتساءل عن أي تأويل تحدث حسين خمري؟ هل هو ذلك المرتبط بالمرجعية الإسلامية أم التأويل من منظوره الغربي الحدائي؟.

وما بدا لنا جليا أن هذا الاستعمال يدور في فلك المفهوم الغربي الذي يخرج بالنص عن إطاره الديني وعن فهمه اللغوي في التراث العربي علما أن النظرة الغربية تتأسس على مرجعيات تنظر إلى النص من زاوية مخالفة تماما لزاوية النظر العربية لمفهوم النص.

***النص المتعدد:** مصطلح التعدد مصطلح ضليع بنظرة الكاتب النقدية التي يكشف من خلالها على تعدد القراءات التي يمكن أن تنص على النص ونورد على سبيل المثال لا الحصر بعض مظاهر حضور هذا المصطلح في قول المؤلف خمري: "هذه الأفكار تحيل ضمنا إلى الفكرة التي يطرحها بارث بكل جرأة هي النص المتعدد أي النص الذي يتحدد مع كل قراءة، ويستطيع عبور الأزمنة والأمكنة، فهو يطرح قراءات متعددة وقابلة للبرهنة إلى حد التناقض"¹.

ومن خلال مصطلح النص المتعدد يمكن أن نفهم بصورة مباشرة دلالة كثرة أوجه القراءة التي يتيحها النص، وذلك بحسب تعدد القراء والصيغة الصرفية التي ينبثق منها مصطلح التعدد هي "تفعل"، وهي تحمل المعاني التالية:

المطاوعة والصيرورة²: وتفيد في هذا السياق تعدد القراءات ولا نهائيتها باعتبار النص صيرورة. هو مفهوم يستخدم للدلالة على وجود عدة زوايا للنص، وإن قراءة هذا الأخير ليست قراءة واحدة أو ثابتة على أساس أنه يتضمن دلالات أو معان عديدة يمكن اكتشافها من خلال هذه الزوايا³. إن هذا المفهوم يحيل وبشكل مباشر إلى الطرح التفكيكي الذي يؤمن أصحابه بتعدد دلالة النص وأنه يخضع لقراءات متعددة وفق مقولة لا نهائية الدلالة.

ميتا- نص: أو (ما وراء النص)، وهو علاقة التعليق الذي يربط نصا بآخر يتحدث عنها دون أن يذكره⁴.

¹ حسين خمري، نظرية النص، ص 61.

² صبحي حموي، المنجد الوسيط في العربية المعاصرة، شركة الطبع والنشر اللسانية، مؤسسة بكاش للطباعة، (د.ط)، حرف الهاء، 2003، ص 65.

³ سمير حجازي، المتقن في معجم المصطلحات اللغوية والأدبية الحديثة، ص 39.

⁴ محمد عزام، النص الغائب، مرجع سابق، ص 89.

*النص/علامة:

مصطلح النص علامة يجسد حضوره بقوة في ثنايا المدونة، ذلك أنه يرتبط بالإطار المضموني العام الذي يشتغل عليه الناقد حسين خمري يقرأ النص بوصفه علامة تركيب من عنصري الدال والمدلول، الدال الذي يمنحه الناقد بعدا سيميائيا واسعا في إطار الإيضاح على تعدد القراءات من جهة، ومن جهة أخرى ما يحيل عليه النص الدال على مداليل متعدّدة تجد مبرر إحالتها في الثقافة وسياقاتها الواسعة، يقول خمري: "ونظرا لطبيعة النص التي تتميز بعدم الاستقرار وتعدد الأبعاد، فإن تلاحم العلامات التي تكوّنه والتي تشكل في منظومة سيميائية تمنح للقارئ إمكانية وضع النص في سياق ثقافي أوسع... وهو ما يعني أن النص بوصفه علامة فإنه يمنح القارئ مستويين من القراءة".¹

ويضيف الناقد: "و إذا أردنا أن نظهر خاصية النص باعتباره علامة، فإنه يتعين فحص مكونات العلامات اللغوية التي يتكون منها النص الذي هو بهذا المفهوم علامة مركبة، وهكذا تصبح كل علامة نصا"².

(دليل) مصطلح يستعمله الناقد للإشارة إلى وجود علاقة ما بين شيئين متصلين في بعضهما، على نحو يجعل للإدراك، ليس لها معنى في حد ذاتها، إذا أدركت من غير ارتباطها بالمجموعة أو العنصر القابل للإدراك (وهو الدال)³.

***الاتساق**: هذا المصطلح ارتبط بلسانيات النص وقد لاقى اهتماما كبيرا من علماء النص بداية بتوضيح مفهومه، وبيان أدواته أو وسائله وإبراز عوامله وشروطه، فالاتساق هو ذلك التماسك بين الأجزاء الشكلية لنص ما، ويهتم فيه بالوسائل اللغوية الشكلية التي تصل بين العناصر المكونة للنص، ضف إلى ذلك أنه يعني العلاقات النحوية أو المعجمية بين العناصر المختلفة في النص وهذا يقضي إلى أن معنى الاتساق يتعلق بالروابط الشكلية⁴.

¹ حسين خمري، نظرية النص، ص 39.

² المصدر نفسه، ص 39.

³ سمير حجازي، المتقن في معجم المصطلحات اللغوية والأدبية الحديثة، المرجع السابق، ص 153.

⁴ محمد الشاوش، أصول تحلي الخطاب في النظرية النحوية العربية، منشورات دار الأمان، الرباط، ط1، 2006، 124.

ومن أجل ذلك الرابط النصي لا بد من توفير مجموعة من الظواهر التي تعمل على تحقيق الاتساق في مستوى النص، وهذه الوسائل هي الإحالة، الضمائر، الاستبدال، الحذف والروابط والاتساق المعجمي.

***الانسجام:** إن المتأمل في مضامين المدونة يقف على أطروحات لسانيات النص التي تشكل أبرز الخلفيات التي اعتمدها المؤلف من إضاءة موضوعه، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن علم النص يتكئ عليها بشكل واسع، ولذلك فقد ركز حسين خمري على مصطلحات هذا الحقل اللساني، ومن أهمها مصطلح "انسجام" وقد ورد مرفوقاً بمصطلح النص في صيغ متعددة تتوزع على مساحة المدونة و نذكر على سبيل التمثيل لا الحصر، يقول حسين خمري في معرض حديثه عن قيمة عنصر الانسجام في النص: "وانسجام النص لا يمكن اعتباره عنصراً تزيينياً يمكن مفصلته في جزء معين أو محدد من النص ولكنه يتوزع على كامل مساحته ويعمل على تدعيم العلاقة بين متخيل النص والنص المنجز"¹.

ويبدو لنا بوضوح كيف أن المؤلف يوظف هذا المصطلح الواحد من لسانيات النص ليؤكد من خلاله دور هذه الخاصية والتي تهتم في طبع عملية التحليل بالطابع العلمي من خلال تتبع عوامل وعناصر الانسجام على وجه تتكشف معه الرؤية التجريبية في ممارسة التحليل. ولأجل ذلك يفرض علينا فحص دلالة هذا المصطلح وتعريف مفهومه.

إنّ الانسجام أهم من الاتساق وهو كذلك أعمق منه حيث يطلب الانسجام من المتلقي صرف الاهتمام جهة العلاقات الخفية التي تنظم النص وتولده²، وقد أولى علماء النص عناية قصوى بالانسجام، فيذكرون أنه خاصية دلالية للخطاب تعتمد على فهم كل جملة مكونة للنص في علاقتها بما يفهم من الجمل الأخرى³، ويختص الانسجام بالاستمرارية المتحققة في عالم النص.

***النص / المفتوح / المغلق:** يتحرك مصطلح النص في اشتغاله ضمن المدونة في إطار عدة مصطلحات أهمها مصطلحي "الانغلاق والانفتاح"، وقد وردا بصيغ مختلفة في المدونة ك:

¹ حسين خمري، نظرية النص، ص 49.

² محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1991، ص 6.

³ صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص 340.

"النص المغلق"، "انغلاق" وعلى سبيل التمثيل يقول خمري: "ولعل الخاصية المهمة التي تميز النص عن اللا- نص هي جدلية الانغلاق/ الانفتاح، وهذه الجدلية تتموضع داخل المنتج اللغوي ذاته، إذ يصبح الانغلاق ميزة اللا-نص، والانفتاح صفة للنص"¹.

كما نجد ذلك في قوله أيضا: "ومع ذلك يجب الإشارة إلى أن النص يمكن أن ينظر إليه من زاوية الانغلاق باعتباره بنية لغوية منغلقة" وقول الناقد كذلك: "كما يعني الانفتاح، الانفتاح على الإمكانيات التعبيرية التي تمنحها اللغة واستثمار إحياءاتها ودلالاتها، وأيضا الانفتاح على نصوص الجنس الأدبي ومحاورتها"².

وإذا عدنا إلى الأصل الاشتقاقي لكلمة "انفتاح" نجدها تعود إلى كلمة "انفتح" الذي يقابل صرفيا "انفعل" وهذه الكلمة في دلالتها الصرفية تشير إلى معان أهمها:
* المطاوعة³: وهذا يفضي إلى معنى مطاوعة النص إلى أمر القراءة من جهة، ومن جهة أخرى مطاوعته للتفاعل مع فضائه ومحيطه الذي يرتبط به.

أما في مدلوله ضمن السياق النقدي فيمكن أن نستجليه من خلال ما ورد في دليل الناقد الأدبي لسعد البازعي وميجان الرويلي، لنحاول الكشف من خلاله عن امتدادات هذا المفهوم. والنص المفتوح هو النص الذي يسعى مؤلفه إلى تمثل دور القارئ أثناء عملية بناء النص، وبالتالي فهو نص يتيح التأويل والتفسير ضمن حدود نفسية معينة ومفروضة، والتأويلات التي يتعرض إليها هذا النوع من النصوص مجرد أصداء لبعضها البعض على عكس النص المتعلق فكما يقول "إيكو": "أنك لا تستطيع استخدام النص المفتوح كما تشاء وإنما كما يشاء النص لك أن تستخدمه فالنص المفتوح مهما كان مفتوحا لا يقبل أي تأويل"⁴.

أما فيما يتعلق بالنص المغلق يقول إيكو: "يستطيع المرء في الأغلب تخمين نوع القارئ الذي افترضه المؤلف وليس ما هي المتطلبات التي سيواجهها القارئ الجيد"، ولا شك أن التمييز بين

¹ حسين خمري، نظرية النص، ص 59.

² المصدر نفسه، ص 59.

³ صبحي حموي، المنجد الوسيط في العربية المعاصرة، شركة الطبع والنشر اللسانية، مؤسسة بكاش للطباعة، (د.ط)، حرف الهاء، 2003، ص 79.

⁴ سعد البازعي وميجان الرويلي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 3، 2002، ص 273-

النصين يفترض تمييزاً إجناسياً من شأن القارئ أن يدركه، ولهذا نادى إيكو بأهمية القارئ الأنموذج أو المثالي، كما أن مثل هذا التمييز القائم على انفتاح التأويل وانغلاقه.

*** نحو النص:** يتأسس عمل المصطلح على مصطلح نحو الجملة، وذلك لعدة أمور تتمثل في:

1/ الجملة ليست كافية لكل مسائل الوصف اللغوي، فالحكم بقبول (جملة ما) دلالياً لا يمكن أن يفصل عن السابقة عليها، دون الوقوف عليها.

2/ أهمل مصطلح (نحو الجملة) السياق الاجتماعي رغم أهميته الكبرى في الدراسة اللغوية، فاللغة عبارة عن وسيلة اتصال بين أفراد المجتمع بهدف التوصل إلى غايات مقصودة¹، كما أن السياق من أهم عوامل الاتصال وأداء المعنى².

وفي هذا الإطار يقول سعد مصلوح "إنّ الفهم الحق للظاهرة اللسانية يوجب دراسة اللغة دراسة نصية، وليس باجترار البحث عن نماذجها، وتهميش دراسة المعنى كما ظهر في اللسانيات البلومفيلية أول أمرها، ومن ثم كان التمرد على نحو الجملة والاتجاه إلى (نحوالنص) أمر متوقع، واتجاهها أكثر اتساقاً مع الطبيعة العلمية للدرس اللساني الحديث³، ومصطلح (نحوالنص) بهذا المفهوم المتفادي لأخطاء ومزالق مصطلح نحو الجملة قادر على معالجة العلاقات النحوية فيما وراء الجملة، وعلى وصف الخواص الأسلوبية التي تحقق الاستمرارية البنيوية للنص ووسائل السبك اللغوية والمضمونية⁴.

كما أنه يعمل على تجاوز الدلالة الموجودة في المفردات ليصل إلى الترميز الملفوظي داخل التراكيب، ويكتشف العلاقات القائمة بين عناصر الجمل النصية في قواعدها الشكلية التي أوجدها بالطريقة التي تسمح بانسجام عناصر الكلمة والجملة والنص في تكامل يؤدي إلى المعنى المراد إن هذا المصطلح من أهم المصطلحات التي أوردها الناقد حسين خمري في سياق حديثه عن علم النص ويبدو أنه شغل عليه بصورة مكثفة ومرد ذلك ارتباطه بمجال بحثه.

¹ نصر حامد أبو زيد و سيزا قاسم، مدخل إلى أنظمة العلامات، دار إلياس، القاهرة، 1988، ص 18.

² يحي أحمد، الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، عالم الفكر، الكويت، مج 20، ع 3، ديسمبر 1989، ص 71.

³ سعد مصلوح، مشكلة العلاقة بين البلاغة والعربية الأسلوبيات اللسانية، ضمن كتاب: قراءة جديدة لتراثنا النقدي، النادي الأدبي

الثقافي، جدة، 1988، ج 1، ص 860.

⁴ المرجع نفسه، ص 862.

***النص/التفكيك**: مصطلح "تفكيك" وبالتحديد "تفكيك النص" يوظفه الناقد بطريقة تبدو للقارئ وكأنها قناعة مرجعية يؤمن بها ويمكن أن نلاحظ ذلك من تلك العقوبة التي يصطبغ بها تحليله لموضوعه داخل المدونة، ومن مظاهر هذا التوظيف قول الناقد خمري:

" وكل قراءة تركيبية تلتزم بتفكيك الآليات الداخلية للنص ويعامله كفضاء متعدد الأبعاد ¹ ويضيف في معرض حديثه عن سبب اهتمامه بمصطلح النص من مقدمته، يقول: "... و كل نوع من هذه النصوص يتطلب عناية خاصة وكيفية محددة في فهمه وتلقيه وطريقة مخصوصة لتفكيكه وتحليل شفراته وأنساقه السيميائية ²، ومصطلح تفكيك يرجع إلى الأصل اللغوي "فكك" أي قطعه إلى أجزاء، وهذا ينطبق على معنى تحويل النص عبر آلية التفكيك إلى بنياته الجزئية التي تبنى عليها، وفي المعجم النقدي، وفي مؤلف دليل الناقد الأدبي يحمل معان يمكن الكشف عنها من خلال ما ورد فيه.

التقويض هو المصطلح الذي أطلقه الفيلسوف الفرنسي المعاصر "جاك دريدا" على القراءة النقدية المزدوجة التي اتبعها في مهاجمته الفكر العربي الماورائي منذ بداية هذا الفكر حتى يومنا هذا... والقراءة التقويضية هي قراءة مزدوجة تسعى إلى دراسة النص (مهما كان) دراسة تقليدية أولاً لإثبات معانيه الصريحة، ثم تسعى إلى تقويض ما نصل إليه من نتائج في قراءة معاكسة يعتمد على ما ينطوي عليه النص من معان تتناقض مع ما يصرح به النص، بهدف القراءة التقويضية من هذه القراءة إلى إيجاد شرح بين ما يصرح به النص وما يخفيه ³.

لقد وجّه دريدا في معظم كتبه نقداً لاذعاً للمقولات الفكرية التقليدية، وسعى جاهداً لقهر التقسيم التقليدي بين الخطاب الفلسفي والخطاب الجمالي، والتقسيم الذي يقترحه دريدا ينهض أساساً على ما يصطلح عليه دريدا "التمركز العقلي" ومفاده دراسة الميتافيزيقا الغربية التي تبطل جميع المعاني التي لا تتطابق أو تتمثل للمنطق العقلي المتمركز وغير المتناقض، وعلى نقيض هذا "التمركز العقلي" يدعو دريدا إلى دور حر للغة بوصفها متوالية لا نهائية من اختلافات المعنى ⁴.

¹ حسين خمري، نظرية النص، ص 08 .

² المصدر نفسه، ص 09 .

³ سعد البازعي وميجان الرويلي، دليل الناقد الأدبي، ص 107.

⁴ عبد الله إبراهيم، التفكيك الأصول والمقولات، منشورات عبور المقالات، ط1، 1990، ص 36.

والتفكيكية بهذا المعنى هي تجاوز للمدلولات الثابتة عن طريق الخلخلة واللعب الحر للكلمات لأنها تقوض النص لأن تبحث في داخله عن ما لم يقله بشكل صريح واضح (مسكوت عنه) وهي تعارض منطق النص الواضح المعلن وادعاءاته الظاهرة فالمنطق الكامل في النص كما أنها تبحث في النقطة التي يتجاوز فيها النص القوانين والمعايير التي وصفها لنفسه، فهي عملية تعرية للنص، وكشف أو هتك لكل أسرارهِ وتقطيع أوصالهِ، وصولاً إلى أساسهِ الذي يستند إليه، فيتضح هذا الأساس وضعفه ونسبته وسيرورته فتسقط عنه قداسته وزعمه بأنه ثابت متجاوز¹.

*النص/ رؤية العالم:

في تتبعي للمدونة وجدت أن الناقد يوظف مصطلح "رؤية العالم" في إجالته على مصطلح النص فيذكر أن النص رؤية للعالم وأن النص تجسيد لرؤية معينة للعالم، وقد استوقفنا هذا الاشتغال المصطلحي في عدة مواضع من المدونة، من ذلك قول الناقد: "أما الحقيقة الثالثة فيمكن التعرف عليها من خلال بحث العلاقات الاجتماعية التي تعكسها بنية النص، وبهذه الكيفية فإن النص يعكس الحقائق الثقافية ورؤية الكاتب للعالم وعلاقته باللغة والنصوص"².

وهذا السياق يشير بوضوح إلى أطروحات لوسيان غولدمان حول دور النص ووضعه باعتباره منجزاً يحيل إلى التصور الذي يتأسس عليه موقف المؤلف، وقصد تجلية مضمون ودلالة هذا التوظيف الاصطلاحي يجدر بنا فحص البنية المفهومية له في إطار السياق النقدي الذي ارتبط به.

ومصطلح "رؤية العالم" مفهوم ارتبط بالبنوية التكوينية مع "غولدمان"، إذ نجد "لوسيان غولدمان" لا يأخذ مقولة رؤية العالم في معناها التقليدي الذي يشبهها بتصوير واعٍ للعالم، تصور إرادي مقصود، بل هي عنده الكيفية التي يحس فيها وينظر فيها إلى واقع معين، أو النسق الفكري الذي يسبق عملية تحقق النتائج، بمعزل عن رغبة مبدعة وأحياناً ضد رغبة، ويرى غولدمان من منظور مادي جدلي أن الأدب والفلسفة من حيث أنهما تعبيران عن رؤية العالم -في مستويين مختلفين - فإن هذه الرؤية ليست واقعة فردية بل واقعة اجتماعية تنتمي إلى مجموعة وإلى طبقة، وتبعاً لبرهنته فإن أي رؤية للعالم هي من وجهة نظر متناسقا وحدوديا باستثناء بعض الحالات، لا

¹ بشير تاوريريت، التفكيك في الخطاب النقدي المعاصر، دار أرسلان للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا- دمشق- جرمانا، ط1،

2008، ص 26 .

² حسين خمري، نظرية النص، ص 207.

يتعلق الأمر هنا بوحدة بدون جسم ولا شكل، بل يتعلق الأمر بتنسيق فكري يفرض نفسه من بعض الشروط على مجموعة من الناس توجد في شروط مشابهة، أي على بعض الطبقات الاجتماعية¹.

*النص/ التناص:

مصطلح التناص تظهر حركيته واسعة جدا ولاسيما في سياق توظيف الناقد لهذا المصطلح في معرض حديثه عن أطروحات جوليا كريستيفا، ويعد هذا المصطلح مصطلحا محوريا تدور في فلكه الأطر المفاهيمية التي تبناها الناقد، ولعل فحوا بسيطا لتجليات هذا المصطلح داخل المدونة يؤكد حقيقة هذا الحضور والحركية الواضحة والاشتغال المكثف في عمل الناقد، ومن ذلك نورد قول الناقد في عرض تعريف التناص عند كريستيفا يقول: "والتعريف الأكثر تمثيلا في هذا السياق هو تعريف جوليا كريستيفا الذي استعمله فيما بعد كثير من السيميائيين...والذي يرى في التناص خاصية أساسية للنص: "... نعرف النص بوصفه جهازا عبر- اللغوي (Translinguistique) يعيد توزيع نظام اللغة..."². وما لاحظناه أن معالجة الناقد لهذا المصطلح قد رددتها أطروحات هذه الناقدة البلغارية، وهذا لاشك قد يعني الكثير من الإيحاءات والإيماءات القريبة والبعيدة. هذا إذا ما استحضرننا ما اصطبغت به حركية العمل النقدي الذي أنجزه الناقد. والذي تغطي عليه وبشكل واضح أفكار كريستيفا، وطلبا لانسجام الرؤية نعرض إلى تعريفه في المنظومة والسياق النقدي.

ظهر هذا المصطلح للمرة الأولى على يد "جوليا كريستيفا" عام 1966 في مجلة (تل كل) الفرنسية، وهي ترى أن كل نص هو عبارة عن فسيفساء من الاقتباسات، وكل نص هو تسرب وتحويل لنصوص أخرى³. والتناص تشكيل نص جديد من نصوص سابقة أو معاصرة، بحيث يغدو النص المتناص خلاصة لعدد من النصوص التي تمحي الحدود بينها، وأعيدت صياغتها بشكل جديد بحيث لم يسبق من النصوص السابقة سوى مادتها، وعاب (الأصل) فلا يدركه إلا ذوو الخبرة والمران⁴.

¹ لوسيان غولدمان وآخرون، البنيوية التكوينية والنقد الأدبي، مؤسسة الاتحاد العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1986، ص 46.

² حسين خمري، نظرية النص، ص 256.

³ محمد عزام، النص الغائب، مرجع سابق، ص 28.

⁴ المرجع نفسه، ص 27.

*النص/ فضاء:

مصطلح "الفضاء" في صيغته المتعددة مصطلح اشتغل عليه الناقد بشكل واضح، كما شكل أحد العناوين الصغيرة داخل المدونة لكن الملاحظ هو الاستعمال الذي يتوزع على المدونة من بدايتها إلى نهايتها، وهذا التوظيف ارتبط في أغلبه بمصطلح النص، يقول خمري: "هذه الحركية التي تميز النص الأدبي هي التي تجعل منه فضاء حقيقيا... وقد بدأ الاهتمام بفضاء النص في إطار السيميائية وذلك لارتباطه بفكرة البناء والبنية"¹. إن هذا الاستعمال أو التوظيف لمصطلح الفضاء يشير إلى تأثير الناقد بأطروحات الحدائثة تحديدا ذلك أن مفهوم الفضاء مفهوم حديث، ومن أجل أن تكون أحكامنا أكثر دقة سنتناول هذا المفهوم في علاقته بمصطلح النص موضوع الدراسة، فما هو مدلول هذا المصطلح؟.

مفهوم الفضاء:

هذا المفهوم واسع جدا وهذا ما يبدو من خلال ما قدمه الباحث حول ماهيته وفضلا على الدلالات التي منحها الناقد حسين خمري لهذا المصطلح في مؤلفة شعرية الفضاء تسيير إلى هذا المفهوم في تاريخه يقول: "ومع أن مفهوم الفضاء هذا لم يتبلور في التراث العربي الإسلامي، كما هو متبلور اليوم أو على الأقل كما كان متبلورا في حضارات قديمة، فإن عدة اجتهادات كانت ظهرت - أساسا في الفلسفة والتسوق الإسلاميين - لكنها استندت جوهريا إلى التراث الفلسفي اليوناني في مسار التحديات المختلفة التي كانت تتراوح بين الائتلاف والاختلاف مع النصوص والاجتهادات السابقة، غير أن هذا المفهوم (الفضاء وتسمية الفلاسفة العرب: المكان...) في بعده الميثولوجي والفلسفي ظل يتطور تاريخيا، إلا أنه لم يلتحق بحقل النقد العربي القديم إلا في بعده النحوي كظرف (ظرف مكان) ونحن نعلم مستوى تفريق ظرف المكان مقارنة مع ظرف الزمان، أو في بعده البلاغي البسيط كما ظهر في إنتاج القاضي عبد الجبار وعبد القاهر الجرجاني².

غير أنه لا يمكن أن نعقل القيمة النظرية التي منحها ابن سينا لإشكالية الفضاء بمختلف أبعادها ومستوياتها وما بذله من جهد في إثبات هذا المفهوم ودحض الطروحات المعتمدة "أما

¹ حسين خمري، نظرية النص، ص 103.

² حسن نجمي، شعرية الفضاء (المنخيل والهوية في الرواية العربية)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط 1، 2000، ص 36-37.

المدينة الفاضلة للفارابي فقد كانت شكلا متقدما لإدراك ومساءلة الفضاء في علائقه المثيرة بالمتخيل وبالمعرفة ذلك ان فهمنا للعالم يصبح منتظما بحسب فهمنا للفضاء¹.

أما إذا عدنا إلى الاستعمال القاموسي العربي لمصطلح الفضاء، فإننا نجد ابن منظور يذكر في مادة "فضا" ما نصه: "الفضاء، المكان الواسع في الأرض (...)", والفعل فضا يفضو فضوا فهو فاضي (...). والفضاء الخالي الواسع من الأرض (...). الفضاء ما استوى في الأرض واتسع، قال: والصحراء فضاء².

أما لفظة الفضاء (espace) في الفرنسية، تذكر موسوعة ويكيبيديا أنها مشتقة وتتحد من سليلاتها اللاتينية :

"Espace, français masc. du latin Spatium entendue dans le temps ou L'espace ,distance (...). De l'ancien français le mot passe en moyen de l'anglais sous la forme space et suit une évolution sémantique parallèle"³

إذن الفضاء لفظة فرنسية من أصل لاتيني، والتي تعني امتدادا في الزمن أو المكان، البعد، تمر كلمة الفضاء من الفرنسية القديمة إلى الانجليزية الحديثة بتغير صوتي (Space)، وتغيير دلالي مماثل.

ولهذا كما نقول (espaceclos) نتكلم عن ترجمة حرفية مقابلة لفضاء مغلق، تحمل فيما تحمل سياقاتها الغربية.

ثالثا : مصطلح النص و مرجعياته

المرجعية الدلالة والمفهوم:

نجد جذر المرجعية اللغوي يعود إلى الفعل الثلاثي (رجع)، والمرجعية مصدر صناعي من مرجع على وزن (مفعل) واشتق منه الفعل الثلاثي رَجَعَ كما وجد في لسان العرب: رجع يرجع

¹ حسن نجمي، شعرية الفضاء (المتخيل والهوية في الرواية العربية)، المرجع السابق، ص 37.

² ابن منظور، لسان العرب، دار الحديث (القاهرة)، (د. ط)، مج 7، 2003، مادة (فضا)، ص. 122.

³ الموقع الإلكتروني www. Wikipdia. Org.espace étude semantique/ définition

تاريخ الزيارة : 2015/03/10.

رجوعاً ورجعيّ ومرجعيّ، انصرف الاسم مرجعاً. والرجيع من الكلام المردود إلى صاحبه أو المكرّر¹.

المرجعية (المدلول الاصطلاحي):

يعرفها الدكتور "رياض عثمان" أن المرجع هو المعنى الثابت القائم على التطور المفهومي للمصطلح الفني ضمن خصائص وسمات علائمية بين مدلولين، الأول لغوي والآخر مفهومي يشكلان وجه العلاقة بين الراجع والراجع إليه هو المفهوم المقرون بالحد الذهني والعقلي الذي أطلق فيه المصطلح ولأجله².

المرجعية الغربية لمصطلح النص:

إنّ المتفحص للشبكة الاصطلاحية الواسعة التي تشغل داخل المدونة يقف على غزارة التوظيف الاصطلاحي المتعدد والمتنوع والذي يرتبط تارة بحقل لسانيات النص (علم الدلالة) وتارة أخرى باللسانيات السيميائية، فضلاً عن المفاهيم التي تحيل على مناهج نقدية كالبنوية والتفكيكية بشقيها اللساني والتكويني وبحضور قوي و واضح لمفاهيم المنهج التفكيكي، ومن هذه المصطلحات مصطلح البنية، العلامة، الدال، المدلول، الدلالة، نظام النص، علم النص، الاتساق، الانسجام، البنية الكلية، رؤية العالم، الوعي، تفكيك النص، لا نهاية القراءة، النص المتعدد، الأثر... الخ، ولا يتسع المقام لذكر كل المصطلحات التي اعتنت بها المدونة.

إنّ هذه المصطلحات ذات منابت غربية أي أنها نابعة من الثقافة النقدية الغربية ومنظوماتها، والتي تمتد جذورها إلى التراث الفكري والفلسفي واللساني الغربي، والتي تختلف جوهرياً عن ثقافتنا العربية لاختلاف السياقات الحضارية وخصوصية كل سياق وقصد توحي الموضوعية سنعمد إلى تعرية الخلفيات والمرجعيات التي ترعرعت فيها هذه المصطلحات والحواضن الثقافية التي أنبتتها محاولين الكشف عن امتداداتها في الفكر والسلوك في منجزات الثقافة العربية وعلى وجه التحديد في منظومتنا النقدية، وهذا الكشف سيساعدنا على الخلوص إلى حكم موضوعي على طبيعة المرجعية التي صدر عنها الناقد في كتابته النقدية في إطار مدونته موضوع البحث.

¹ أبو الفضل جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، ج 3، مادة: رَجَع، دار المعارف، ص 1095.

² رياض عثمان، تداخل المرجعيات من النحويين والبلاغيين و المفسرين (دراسة تأصيلية لنقد المنهج المرجعي) المرجعيات في النقد و الأدب و اللغة، مؤتمر النقد الدولي الثالث عشر، عالم الكتاب الحديث، الأردن، مج 1، مج 2، ط 1، 2010.

المرجعية الماركسية:

الماركسية في الأساس نظرية في الاقتصاد السياسي وضعها "كارل ماركس" بمشاركة من "فريدريك أنجلوني" منتصف القرن التاسع عشر، وتقوم هذه النظرية التي اشتهرت بالشيوعية (كما بأسماء أخرى منها التفسير المادي للتاريخ) على القناعة الأساسية التالية: وهي "أن الأفراد في المجتمع الإنساني يدخلون في علاقات إنتاجية" وأن مجموع العلاقات الإنتاجية هذه تشكل البنية الاقتصادية للمجتمع الأساس الحقيقي الذي تقوم عليه بنية قانونية وسياسية تتوافق معها أشكال محددة من الوعي الاجتماعي ويتحكم نمط الإنتاج في الحياة المادية بحركة الحياة الاجتماعية والسياسية والعقلية¹.

ولماركس وانجلز بالإضافة إلى تنظيراتها الأساسية في الاقتصاد والسياسة آراء عامة في الآداب والفنون تنطلق من تلك التنظيرات؛ فالأدب مثلاً شأنه شأن أنماط الحياة الأخرى خاضع في التصور الماركسي للقوى الاقتصادية والإيديولوجية وليس لأية قيم فنية جوهرية أو مستقلة، هذا بالإضافة إلى الهيمنة التي تفرضها الحركة الأفقية التصاعدية للتاريخ، والتي بمقتضاها يتحرك تاريخ الفن من البدائي إلى المتطور المعقد².

لم يضع "كارل ماركس" نظرية نقدية متكاملة بل جاءت أفكاره النقدية متفرقة وفق هذه الآراء "تشكلت أرضية تنامت عليها معالم تيار نقدي ضخم ما زال حتى يومنا هذا يحتل موقعه البارز على ساحة النقد العربي المعاصر، وكغيره من التيارات يتراوح التيار الماركسي بين اتجاهات متعارضة يبرز منها اتجاهان: أحدهما نقد غارق في الإيديولوجية متعصب للتفسير الاقتصادي للثقافة يطالب الأدب بالانسجام مع الرؤية الماركسية الحزبية لحركة المجتمع.... والآخر نقد معتدل يعترف باحتفاظ الأدب بقيمة فنية يتجاوز به الإيديولوجيا البرجوازية إلى حد يمكنه فيه أن يعكس الواقع الموضوعي لعصره³، وفي هذا التيار الأخير يظهر اسم "لوكاتش" الذي يعدّ من أهم ممثليه.

بعد التحديد المفهومي للاتجاه الماركسي وعلاقته بالأدب والنقد نأتي على ذكر المصطلحات التي تتدرج تحت مطلبه، وأول هذه المصطلحات:

¹ سعد البازعي وميجان الرويلي، دليل الناقد الأدبي، المرجع السابق، ص 223، 224.

² المرجع نفسه، ص 224.

³ المرجع نفسه، ص 224.

1/ مصطلح "الإنتاجية": والذي كان وروده مقرونا في أغلب سياقات البحث، بالناقدة "جوليا كريستيفا" هذه الناقدة التي تدين على مستوى مرجعية فكرها النقدي للتيار الماركسي في شقه المعتدل، ضف إلى ذلك الاستعمال الغزير لهذا المصطلح في سياق تعليقاته على القضايا التي درسها في مدونته، وعلى سبيل المثال لا الحصر فقد ورد هذا المصطلح في أكثر من موضع كما نجد ذلك مثلا في المقدمة على النحو الآتي: "يقضي الإنسان حياته محاصرا بالنصوص يحررها ينتجها..."¹.

" من هذا المنظور يمكن أن نقارب علم النص باعتباره إنتاجية " ²، وهو (أي النص) إنتاج سيميائي"³، "وبما أن النص منتج لغوي"⁴، "كيف ننتج نصا"⁵.

هذا ولو تتبعت المدونة سنقف على هذا التكتيف المصطلحي لهذا المفهوم، وهو المصطلح الذي ارتبط بالفكر الماركسي ويعلم الاقتصاد على وجه الخصوص، إذ نجده حاضرا في أغلب كتابات ماركس، وهذا يفضي إلى اعتبار الأعمال الأدبية حسب التصور الماركسي إنتاجية. "لقد أدت إعادة الإنتاج الآلية لأول مرة في التاريخ إلى تحديد الفن من كونه عالية على الطقوس إلى حد أكبر من ذي قبل أصبح العمل المعتاد إنتاجه بصميم بحث يعاد إنتاجه"⁶.

2/ مصطلح (رؤية العالم): هذا المصطلح الذي ينبع أساسا من رحم المنظور الماركسي حول الوجهة التي يجب أن ينحوها الأدب على مستوى الغاية من الكناية في تمثيل وتصوير رؤية للعالم الذي تعبر عنه غير أن ذلك لا يعني أن يكون العمل الأدبي انعكاسا للواقع بل تعبر عنه في بنية فنية تثمر باستقلالية الفن وموضوعيته.

وفي هذا السياق يورد صاحب الكتاب الموسوم بدليل الناقد الأدبي ما يشير صراحة إلى مفهوم رؤية العالم والدور الذي يجب أن تلعبه الكناية الأدبية لدى الكاتب والمنهجية التي يقتضي اعتمادها حيال العمل الأدبي، يقول: "فالواقعيون الكبار لا يتيحون الفرصة لذواتهم لكي تسيطر

¹ حسين خمري، نظرية النص، ص 09.

² المصدر نفسه، ص 32.

³ المصدر نفسه، ص 36.

⁴ المصدر نفسه، ص 39.

⁵ المصدر نفسه، ص 79.

⁶ سعد البازعي وميجان الرويلي، المرجع السابق، 227.

عليهم، بمعنى أنهم يغلبون الموضوعي على الذاتي متجاوزين بذلك أنفسهم، " بلزك" مثلا تتغلب لديه رؤية عميقة وشمولية للعالم" ¹.

إنّ مصطلح (رؤية العالم) تتصل بشكل مباشر بمؤسسة "لوسيان غولدمان" الماركسي التوجّه والذي ظهرت مفاهيمه في إطار البنيوية التوليدية التي زواج من خلالها بين الماركسية والبنيوية في وحدة تآلفية تليفقية؛ يقول "عبد العزيز حمودة": " فنحن لا نستطيع دراسة بنيوية لوكاتش وغولدمان بمعزل عن مفهوم ماركس عن الفن ووظيفته..."، ويقول غولدمان: " إنّ الناس يصنعون البنى التي تمنح التاريخ معنى ، ولأنّ الناس كائنات اجتماعية فإنهم محكومون بتقسيمات عقلية قبلية (بالمفهوم الكانطي) تأخذ لديهم هيئة (رؤية العالم) لم يكن لهم دور في إيجادها، وهذه الرؤية للعالم محكومة هي نفسها بالفئة الاجتماعية التي ينتمي إليها الأفراد (الماركسية والعلوم الإنسانية)" ².

وهذا ما يدلّ صراحة على العلاقة المرجعية التي تربط هذا المصطلح بالفكر الماركسي المادي.

التفكيك قراءة في المرجعية :

يبدو هذا المصطلح حاضرا بقوة في المدونة، فالناقد يستخدمه بعفوية في لغته النقدية الخاصة وفي ثنايا تحليلاته لموضوع بحثه، إضافة إلى المصطلحات التي ترتبط بهذا المفهوم، وعلى سبيل المثال لا الحصر نجده يورد هذا المصطلح بصيغ مختلفة تشعر القارئ أنه يتصرف ويصدر في توظيفه لهذا المصطلح عن قناعات مرجعية تؤمن بها، ولكن قبل أن نصدر أحكاما حيال هذه المرجعية نحاول أن نتتبّع هذه الحركية في المدونة لتجلي طبيعة التوظيف ومنها إلى نظرية خلفيات هذا الاستعمال وآثاره، فمن بين أشكال هذا التوظيف بذكر قول الناقد في مقدمته "وكل نوع من هذه النصوص يتطلب عناية خاصة وكيفية محددة في فهمه وتلقّيه وطريقة مخصوصة لتفكيكه وتحليل شفراته" ³.

¹ سعد البازعي وميجان الرويلي، المرجع السابق، 226.

² د. ميجان الرويلي ، د.سعد البازعي ، "دليل الناقد" المركز الثقافي العربي بيروت ، الدار البيضاء ، ط2، 2000م، ص 43.

³ حسين خمري، نظرية النص، ص 09.

وقد وردت هذه العبارة في سياق طرحه سؤال لماذا النص؟ الذي يقصد من ورائه توضيح الهدف من دراسة هذا المصطلح كما نجد ذلك في معرض حديثه عن علم النص الأول (القراءة) مجالاً لنشاطه، ويقوم بتفكيك هذه القراءة ويعيد صياغة المعنى...¹.

وفي سياق آخر يورده متحدثاً عن مصطلح النص، يقول: "إن النص يبدي تجليين مختلفين في الوقت ذاته فهو بناء وتفكيك"².

وفي سياق آخر يتحدث عن مصطلح الشرح، يقول: "وهذه الملاحظات تعتبر ردّ فعل على ممارسات الشرح التقليدية التي كانت تفكك النص..."³.

ويرد كذلك سياق حديثه عن فضاء النص بصيغة " ... وكل قراءة تركيبية تلتزم بتفكيك الآليات الداخلية للنص..."⁴.

ومما عمّق النظر وخلق الدافع إلى استقصاء علاقة هذا الناقد بالطروحات التفكيكية هو حضور هذا المصطلح في أغلب السياقات التحليلية في المدونة حتى أننا نلاحظ ذلك في سياق حديثه عن النص عند الأصوليين، إضافة إلى ذلك يمكننا أن نأتي على بعض المصطلحات التي وظفها الناقد التي هي من جوهر المنهج التفكيكي، وسنكتفي بذكر بعض تمظهراتها في المدونة نلمس ذلك في بعض عبارات المقدمة كقوله: "... تجعل النص قابلاً للتناول ومفتوحاً على الأسئلة والقراءات"⁵.

"النص لا يحتوي على معنى واحد أو وحيد بل على لا نهاية من المعاني، وبهذا يمكن اعتباره مجرّة من المعاني وكوناً من الدلالات"⁶. "النص القابل للانهاية القراءات"⁷، ولأن المقام لا يسعنا حتى نقف على كامل أوجه ومظاهر حضور المصطلحات التفكيكية كمقولة الاختلاف والأثر، هذه الأخيرة التي تحيل إلى توظيفها في بحث رؤية الناقد ومرجعياته، ذلك أننا نجد يشير إلى أنّ هذا

¹ حسين خمري، نظرية النص، ص 31.

² المصدر نفسه، ص 56.

³ المصدر نفسه، ص 86.

⁴ المصدر نفسه، ص 104.

⁵ المصدر نفسه، ص 08.

⁶ المصدر نفسه، ص 13.

⁷ المصدر نفسه، ص 41.

المصطلح يلتقي مع ما أورده الجرجاني في نظرية النظم دون أن ينتبه إلى الأطر التي صدر عنها كل مفهوم.

وبعد استعراض معالم التوظيف النقدي لمصطلح التفكيك يتوجب علينا أن نمارس قراءة في أصول وخلفيات هذا المنهج النقدي حتى نتبين طبيعة امتداده في الفكر النقدي العربي، وليس الناقد "حسين خمري" إلا واحد من هؤلاء النقاد الذين نجدهم في هذه المدونة (موضوع الدراسة) يشتغل على المصطلحات التفكيكية، وبالعودة إلى ما قدمه الناقد العربي "عبد العزيز حمودة" في شأن هذا المنهج من حيث البنى الفكرية والفلسفية التي ترفد وفي كتابه الموسوم (المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك)، والذي عرض فيه على نحو تفصيلي إلى أهم المرجعيات التي تستتر خلف كيان هذا المنهج، يقول هذا الناقد: إنَّ التفكيكية المعاصرة باعتبارها صيغة لنظرية النص والتحليل تخرب (subverts) كلَّ شيء في التقاليد تقريبا، وتشكك في الأفكار الموروثة عن العلامة، اللغة، والنص، والسياق، والمؤلف، والقارئ، ودور التاريخ، وعملية التفسير وأشكال الكتابة النقدية، وفي هذا المشروع فإن المادي ينهار ليخرج شيئا فظيحا"¹.

فالتفكيك بهذا المعنى إنما هو عملية إلغاء و تجاوز مستمر لكل شيء، وهذا ما يحيل إلى فكره غياب المطلق واليقين وهذا ما يتأكد عندما نعلم أنَّ التفكيكية قامت على أصول فلسفية تدين بالشك وتتفي اليقين والحقيقة، وتفتح المجال واسعا أمام الذات حتى تمارس قراءاتها ومن ثم يأتي الحديث عن تعدد الدلالات للنص من المنظور التفكيكي.

وهذا بلا شك يشير إلى أن التفكيك قد انحدر من بنية وإطار ثقافي وفلسفي غذى أفكاره، وهذا الشأن شأن أي مشروع نقدي آخر.

ترتبط التفكيكية بالفلسفة التجريبية التي أقامت بنيانها على دور التجربة الحسية كمرجع في المعرفة بمعنى أنَّ الحواس هي سبيل تحصيل معارفنا، وهذا يقود إلى القول بنسبية قدرتها على تمكين الإنسان من بلوغ اليقين لأن الاعتماد عليها - أي الحواس - يوقعنا في الخطأ ومن ثم جاء الشك وتبلورت فكرة اللا يقين. يقول عبد العزيز حمودة: "إنَّ نقطة قوّة فكر التفكيك ونقطة ضعفه في نفس الوقت تتمثل في البريق الخاص الذي يملكه وهو نصف القديم، كل القديم، وهذا جوهر

¹ عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة، ص 13.

ما يحدث، فالتفكيك كالثور الهائج أطلقه عصر الشك الشامل من مربطه يحطم كل شيء، فلا شيء معتمد ولا شيء موثوق ولا شيء مقدّس¹.

ويمدّ التفكيك جذوره ليتواصل مع الفكر الكانطي وفلسفة "هيدغر" التي قامت على توجّهات ذات طابع تدميري، وهذا ما يفسر استعمال مصطلح التدمير الذي شكل محور فلسفته، غير أنّ "دريدا" استعاض عنها بمصطلح التفكيك؛ يقول عبد العزيز حمودة: "وقد وصلت درجة التداخل بين المجالين ومباشرة التأثير إلى استخدام "دريدا" في الطبعة الفرنسية الأولى لكتابه (delegrammatologie) لكلمة "التدمير" المحورية في فلسفة "هيدغر" بدلا من كلمة التفكيك"².

يمكن أن نورد تعليقا يوضّح مدى فظاعة الآثار التي تركتها التفكيكية بكل مقولاتها من خلالها يتضح المشهد المأساوي الطّاعي والذي اندسّ في الفكر النقدي العربي بشكل مباشر وغير مباشر فأفرز الخلط والتناقض المنهجي والفكري وأربك العقل العربي ووضعه في وضع لا يحسد عليه وهذا كله في إطار المثاقفة النقدية السلبية التي انبنت كما يرى الناقد "سعد اليازجي" في كتابه الموسوم (استقبال الآخر) على معنى الانصياع وجعل الآخر قبلة واعتباره النموذج الأرقى في التقدم ومن ثم ضرورة احتذاء خطاه، وبذلك انتهت إلى وضع كارثي يمس صميم البنية الفكرية للمنظومة العقلية العربية، فضلا عن ضياع هويتها النقدية في ظل الانبهار الذي يشهده الفعل العربي حيال منجزات الآخر دون إعمال النظر والبصيرة في حمولات منظومته التي استوردناها دون أن تمر بحاجز الجمركة والذي يعمل على معاينتها قبل قبول دخولها في الثقافة العربية وفي منظومتنا النقدية.

التناص (التعدّد) و مرجعية المصطلح :

إنّ النظرة الفاحصة في تاريخ الأديان والأيدولوجيات في أوروبا تكشف عن بنية التعددية المتأصلة والمهيمنة على العقل الأوروبي منذ مطلع التاريخ والحضارة، فالآلهة تعددت عند الإغريق واليونان، وتوزع الله الواحد إلى ثلاثة في الديانة المسيحية...، وهذا التوزع كان نتيجة طبيعية لمحاولة زرع الإمبراطور قسطنطين لديانات وثنية في أساس الديانة الموحدة أساسا، واتّسع

¹ عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة، ص 309.

² المرجع نفسه، ص 301.

الخلاف والانفلات في حقيقة هذه الديانة، كما اتسع في حقيقة الديانة اليهودية فانتسعت المذاهب المسيحية وتعددت وتناست وألغى بعضها بعضها الآخر¹.

وهذا ما أفضى بدوره إلى تعدد المذاهب اليهودية والمسيحية واختلافاتها حول "الكتاب المقدس" واختلط فيها النص الأصلي بالتفسير والشروح فضاع كلام موسى والأنبياء من بعده والمسيح والأسباط والباباوات والرهبان والقساوسة... الخ، ليصبح التعدد بذلك سمة ملازمة لكل عقل يؤمن باليهودية أو بالمسيحية أو دافعا خفيا للتساؤل الدائم عن الحقيقة الغائبة وللتشكك المستمر في المسلمات².

وهذا ما أفضى إلى ظهور مبدأ تعدد القراءة الذي يحتفي به التناص والتفكيك على حدّ سواء باعتباره مخرجا من المأزق الذي أفرزته هذه الرؤية التعددية للإنسان والله والكون، وهو ما فتح باب الاحتمالية الدلالية في تبادل النصوص، إذا كان هذا هو المهاد الفكري والفلسفي الذي انبثقت عنه مفاهيم التناص في النقد الأدبي وناقدا "حسين خمري" يشتغل على هذا المصطلح ويحاول أن يناظره بما يورده حول مصطلح التأويل في الثقافة العربية الإسلامية، فهو من زمرة هذه المفاهيم الثورية.

وبهذا نظر إليه باعتباره نصوصا جديدة تنفي مضامين النصوص السابقة وتؤسس مضامين جديدة خاصة بها يستخلصها مؤول بقراءة إبداعية مستكشفة غير قائمة على استقراء واستنباط³. أي أنّ فلسفة ما بعد الحداثة أنتجت مفاهيم اعتراضية ورافضة لما جاء من مفاهيم في فلسفة الحداثة، ولعلّ البنيوية التي تتدرج في إطار فلسفة الحداثة هي أهم ما تتوع من خطوات إنتاج مفهوم التناص⁴.

لقد تميز المزاج الثقافي والفكرة خاصة مع ظهور التيار البنيوي بالجهود ونزعة المحافظة وتقديس التراث وكل ما يمت للماضي بصلة، ضف إلى ذلك الوضع الذي تميز بالتمركز الأوروبي

¹ محمد الكميم محمد المرشد، التناص والسرقات الأدبية (من المرجعيات إلى كيفية الاشتغال)، مجلة علامات، ع 34، ص 154.

² المرجع نفسه، ص 155.

³ محمد مفتاح، المفاهيم المعالم، نحو تأويل واقعي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 1999، ص 41.

⁴ شكري عزيز الماضي، ما بعد البنيوية، حول مفهوم التناص، مجلة المعرفة السورية، إصدارات وزارة الثقافة السورية، دمشق، ع353، 1993، ص 98، 99، وينظر كذلك صبري حافظ، التناص وإشارات العمل الأدبي، مجلة ألف، البلاغة المقارنة، من إصدارات قسم الأدب الإنجليزي والمقارن، الجامعة الأمريكية، القاهرة، ع04، 1984، ص 12.

حول الذات وإغلاق نسقها الثقافي باعتباره النموذج العلمي الرصين والكامل، ولعل هذا ما هياً التربة لظهور التفكيك.

والتناص يتم بصلة وثيقة بهذا المنهج بحيث شكل مفهوم التناص في هذا السياق ثورة على الأنساق الثابتة "بوصفه رافضاً لمبدأ البحث عن مصادر النص وأصوله، لأن البحث عن المصادر والأصول يشبع في النص قيم التقديس والأبوة و المقصدية والمعنى المغلق..."¹.

وإذا غيرنا زاوية النظر صوب الفهم الكرسطي لهذا المصطلح نقف على تجليات الخلفيات والجذور المختلفة التي توّطر هذا المفهوم منها ما هو ديني وما هو إيديولوجي يحيل إلى واقع الإنسان العربي ومعاناته الوجودية.

ارتبط هذا المصطلح بالحدثة الغربية التي جاءت وليدة تمخّصات معرفية وفكرية صاحبت تيار الحدثة انطلاقاً من الثورة الكوبرنيكية على الفلسفة اللاهوتية مروراً بالتيارين المثالي والتجريبي وصولاً إلى تيار الشك والعدمية بزعامة "فريدريك نيتشه" وهذا ما يعبر عنه "والاس مارتن" قائلاً: " كان هناك وقت اشترك فيه الله والإنسان والطبيعة واللغة كل في الآخر (...) ثم حدث انفصام وانشطار في الوحدة الثقافية للإنسان والله والطبيعة واللغة، وهو السبب في سقوط رمزية العصور الوسطى وما تلا ذلك من تشرذم (...) فبذلك الانفصام بين الكلمة والشيء بين الدال والمدلول بين الذات والموضوع يأتي صندوق "بانثور" للذاتية والعدمية والنسبية التاريخية"².

نجد أنفسنا لا نحتاج إلى طرح السؤال حول طبيعة العلاقة بين المفهومين في الثقافة القديمة ذات الأصول الفكرية الدينية والفلسفة في الثقافة العربية الإسلامية.

لأن الجواب واضح وجلي فالسياق الذي ترعرع فيه المصطلح هو الذي يحدد دلالاته بالقياس إلى المبادئ والأفكار التي يتكئ عليها تنظيراً وتطبيقاً مادام السياق هو المرجع فإنه لا يمكن أن تؤلف بين سياقين مختلفين: الأول ينطلق من أفكار تنزع إلى نقض فكرة التوحيد والقول بتعدد الآلهة، فضلاً عن مقولة موت المؤلف التي تفضي بالضرورة إلى موت الإله كما يرد ذلك عند "نيتشه" فيلسوف الشك، والثاني سياق يقوم على فكرة التوحيد و احترام إنسانية الإنسان³.

¹ شكري عزيز الماضي، ما بعد النبوية، حول مفهوم التناص، المرجع السابق، ص 12-13.

² عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة، المرجع السابق، ص 67.

³ بشير تاويريريت، التفكيك في الخطاب النقدي المعاصر، مرجع سابق، ص 155.

إن هذا البعد الذي يحمله هذا المصطلح يشكل خطراً جسيماً على الفكر العربي إذا لم ينتبه المتلقي أياً كانت طبيعته، وإذا ما رجعنا إلى رد الفعل الذي تبناه علماء الإسلام نجد أنهم قد عملوا على تحصين وتسييح جدار التلقي بمفاهيم أسعفتهم في الحفاظ على هويتهم الدينية والفكري "وعندما اشتم علماء الإسلام رائحة التعدد في بعض المعارف العربية والإسلامية سارعوا إلى اختراع وإنتاج آليات تحافظ على وحدة النصوص ووحدة قائلها فأثروا بعلم الرجال أو الجرح والتعديل أو السند في دراسة علم الحديث ليضمنوا سلامة النص الأصل ويضمنوا نسبته إلى صاحبه".

وقد انتقل هاجس الخوف على النصوص الأصلية الأدبية منها وغير الأدبية وعلى نسبتها إلى أصحابها بعد أن فشا الدجل والانتحال والسرقا، فاخترع علماء العربية آليات تضمن الحفاظ على النصوص الأصلية وعلى نسبتها لأصحابها، ومن هذه الآليات: الرواية، السماع، الإسناد¹.

مصطلح العلامة بين المرجعية الفلسفية والمرجعية اللسانية:

لن نناقش مفهوم العلامة من حيث مفاهيمها لأن ذلك قد سبق في الفصل الذي تناولنا فيه دراسة المصطلحات وتحديد مفاهيمها، ولكننا سنحاول الوقوف على الخلفية التي ترفد هذا المصطلح من جهة المزاج الفلسفي الذي أنتج هذا المفهوم، ومن جهة أخرى نعرض إلى علاقة هذا المصطلح باللسانيات الحديثة.

إنّ نظرية "سوسير" عن العلامة برغم ثورتها وجديتها الواضحة تضرب في أعماق التجريبية...، إنّ أهم إنجازات الدراسات اللغوية في القرن العشرين هي الأخذ بالمنهج العلمي وأدوات التجريب اقتداء بالعلوم الطبيعية، ولهذا تتفق نقطة انطلاق "سوسير" في الفصل بين العلامة و"الأشياء" في العالم الخارجي مع تجريبية "لوك".

الذي يرى أن العلامة تشير إلى مفهوم داخل العقل وليس شأننا موجوداً في العالم الخارجي. وهو ما يثبت أن البنيوية هي تجريبية جديدة"²، إذن فالعلاقة تدين كمفهوم إلى النزعة التجريبية، هذه النزعة المادية التي تعتمد التفسير المادي باعتماده التجربة الحسية كأساس في المعرفة، وهذا يوضح طبيعة الثقافة الغربية المادية الأصول في فهمها لمصطلح العلامة، وهو لا شك يباين

¹ بشير تاوريريت، التفكير في الخطاب النقدي المعاصر، مرجع سابق، ص 155.

² عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة، ص 269.

التصور الذي تنطلق منه الثقافة العربية فضلا عن آثار هذا التوظيف للمصطلح داخل المنظومة الفكرية العربية مما يجلي مرة أخرى حقيقة علاقة السياق الثقافي بالمصطلح وارتفانه به. أما المنابع اللسانية التي أنتجت مصطلح العلامة فإنه يمكن أن نشير بشكل مباشر إلى منجزات درس اللساني عند "فرديناند دي سوسير" وحديثه في محاضراته الموسومة بـ "محاضرات في اللسانيات العامة"، حيث تحدّث بإسهاب عن مفهوم العلامة والدليل وعلاقة الدال بالمدلول وغيرها من المفاهيم المتصلة بموضوع علم اللغة في نسخته الغربية، كما نجد لذلك حضورا في درس السيميائي العربي مع "رولان بارت" وغيره. وعلى العموم فإن هذا المصطلح كان بؤرة اهتمام اللسانيين والسيميائيين على حدّ سواء، وقد سبق وأن أشرنا إلى الأطر الفكرية التي أنبنت عليها المفاهيم النقدية اللسانية كالخلفية الفلسفية التي تحيل إلى الاتجاه التجريبي المادي مع "جون لوك" ومن سار نحوه من فلاسفة النزعة التجريبية.

فمن العوامل التي كان لها أثر فعّال في الارتقاء بالبحث إلى مصاف العلم ثلاث تيارات مهمة هي: الوضعية (positivisme) و التجريبية (empirisme) والعقلانية (rationalité) وقد بلغت أهمية هذه النزعات الفلسفية شأواً وجعلت "جون لاينز" يقول: إنه من دون معرفة التجريبية والإيجابية [الوضعية] لا يمكن أن يتوقع من طلاب اللسانيات أن يفهموا بعض القضايا النظرية والمنهجية التي ميزت بعض المدارس اللسانية من أخرى في الوقت الحاضر"¹. ونجد إشارة واضحة حول المرجعية التجريبية لمصطلح العلامة في كتاب "عبد العزيز حمودة" يوضح من خلاله علاقة هذا المصطلح بفلسفة "جون لوك" ومما لاشك فيه أن الدراسات اللغوية الرائدة التي قام بها "فرديناند دي سوسير" في السنوات المبكرة من القرن الحالي - ويقصد القرن العشرين - أفادت بالدرجة الأولى من مبادئ المذهب التجريبي كما قدمه "لوك"... وتلك حقيقة يؤكدّها "آرت بيومان".

إن مفهوم "سوسير" عن العلامة يقوم على التقاليد التجريبية، إذ أن مفاهيمه (Concept) تحمل تشابهاً عائلياً مع أفكار لو Deos فقد كان "لوك" أيضاً يرى أنّ أي صوت محدد يمكن

¹ محمد يونس علي "أصول اتجاهات المدارس اللسانية الحديثة"، عالم الفكر، ع 1، مج 32، المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، يوليو/ سبتمبر 2003، ص 143.

استخدامه حتى تصبح الكلمة بشكل اعتباطي (Arbitrary) هي علامة الفكرة...، إن تجريبية "سوسير" في الواقع هي التي توفر الأساس لمنهجه العلمي وتقييم الرابطة العلمية¹.

مصطلح النص والمرجعية الأصولية:

يحيل "النص" فيما ورد في المعجم العربي على معنى الظهور والارتفاع والانتصاب²، وهذه الدلالة اللغوية هي التي رفدت مدلوله الاصطلاحي في حقل الأصول فصار يحيل على ما لا يحتمل إلا معنى واحداً، قيل ما لا يحتمل التأويل³، ومن هنا يتضح عمق الاتصال بين الدلالة اللغوية والدلالة الاصطلاحية، فالذي لا يحتمل إلا معنى واحداً لا بد أن تتصف بالظهور التام والوضوح الكافي بما يدرأ احتمال اللبس والغموض والإبهام⁴.

ما يمكن أن نستنتجه من خلال الوقوف على دلالاته الاصطلاحية واللغوية أن هذا المصطلح يرتقي في إطار نوع محدد من التفسير، ولكن يحيل على شكل تعبيرى ينتقى فيه اللبس والاتهام كلية، وطبقاً لهذه الدلالة المحددة المقيدة بقيود صارمة ظهر مصطلح النص في الثقافة العربية، وظل يوجه فعالية الوصف و الاستقراء والتحليل فيما يتصل بأدلة الأحكام من قرآن وحديث. ولم يقيض له بسببهما كونهما "تصين" مقدسين أن يمتد ليشمل حقل الأدب الذي ظل بعيداً، كونه ضرباً من الإبداع الذي لا ينهض على أصل، ويصعب تعيين المقاصد فيه وتحديد المزامن إلى على سبيل الاحتمال والتأويل⁵.

أما دلالاته اللغوية في إطار الثقافة العربية فهي تحيل على النصوص والمتون العائدة لمؤلف ما، كما وتحيل أيضاً على "النسج" أما دلالاته الاصطلاحية فتحيل على سلسلة من الكلمات تؤلف تعبيراً حقيقياً في اللغة، وهو جهد على العموم ينطوي تحت مظلة النحو بوصفه وحدة نحوية.

وليس يعيننا في هذا المقام استحضار كافة الدلالات التي ارتبطت بمصطلح النص بل يعيننا البحث في الجذور التي رفدت اشتغاله لدى الناقد خمري. وما لاحظناه هو أن الناقد يحاول أن يقيم ضرباً من التواصل مع المنظومة الفكرية العربية في فهمها لدلالة المصطلح وذلك من خلال

¹ عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة، المرجع السابق، ص 180.

² عبد الله إبراهيم، الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، 2010م، ص 143.

³ المرجع نفسه، ص143.

⁴ المرجع نفسه، ص143.

⁵ المرجع نفسه، ص 145.

توسيع دلالاته وفق نظرة لسانية سيميائية تحلق ببعده الدلالة في فضاء لا تحده تخوم محاولا التحلي بالنظرة العلمية الموضوعية غير أن "التماثل في بعض المناحي العامة للمصطلحات لا يبيح استبدال مصطلح بآخر لاختلاف المفاهيم، كما هو حاصل الآن في الممارسة الثقافية غير المعرفية، إنما ينبغي ضبط حدود المصطلح ومفهومه، وسهل إضفاء دلالات غريبة عليه بما يعرضه للانتهاك، لانعدام ضوابط علمية تحافظ عليه من ناحية، وتعمل على تطويره من ناحية أخرى، إن المصطلح مهدد في ثقافة تتصف كثيرا في ممارساتها بالمجانبة"¹.

وبالعودة إلى دلالة المصطلح في اللغة العربية، والتي تحيل إلى معنى الظهور والانتصاب والارتفاع تكشف أن هذه الدلالة تجعل الثبات ميزة للنص في مقابل التغير والظهور في مقابل الخفاء والانتصاب عكس الاستواء، ولاشك أن لهذه الدلالة علاقة وثيقة بطبيعة النص المرتبط بالمصدر الإلهي الفوقي الذي يمنح الدلالة طابع القدسية.

أما الدلالة الغربية للمصطلح فإنها تعمل على التشويه وتلاشي الحدود فالنسيج يحيل على الفعل البشري، وبهذا نلاحظ ذلك التباين الواضح في اشتغال المفهومين بين ثقافتين مختلفتين في أصولهما ومرجعياتهما الثقافية والفكرية العقائدية.

ومن المصطلحات التي لاحظنا كثرة تداولها وورودها في المدونة مصطلح التأويل، والذي كان له تمظهران في اشتغالهما في المدونة، أحدهما يحيل إلى الأصول الغربية وثقافتها وفكرها، والآخر مرتبط بعلم الأصول أي بالمرجعية الثقافية العربية والإسلامية، وسنحاول الكشف عن امتدادات استعمال هذا المصطلح في شقيه الثقافي العربي الأصولي.

يصدر الكاتب في توظيف مصطلح التأويل عن خلفية معرفية غربية ترفد أشكال تناوله وبحثه، وبالتأمل في المنظومة الثقافية العربية (الأصولية) نخلص إلى عدة قضايا تتعلق بدلالة هذا المفهوم، وفيما يلي سنتعرض إلى أثر الخلفية الأصولية في توظيف هذا المصطلح من خلال الوقوف على صور اشتغاله.

جاء استخدام هذا المصطلح في سياق حديث الناقد عن أنواع النصوص كالظاهر، والنص، والمولد، والمحكم، والمتشابه، وأشكال التأويل التي تناولته وما تفرزه آليات التعامل مع هذه الشبكة

¹ عبد الله إبراهيم، الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة، المرجع السابق، ص 147.

الواسعة من المفاهيم، وعلى كل نخلص إلى أن التأويل في الثقافة العربية الإسلامية مرتبط بالنص الديني الذي هو أساس الدرس اللغوي، وفي هذا التوجه فإن التأويل يعني:

- التفسير وتحصيل المعنى المراد من الملفوظ بناء على ما تقتضيه قواعد اللغة وأسباب النزول (القرآن) أو الحوادث.

لقد جمع ابن من منظور معاني التأويل في ثلاث اختيارات :

الأول (الحقيقة التي يؤول إليها الشيء)، الثاني (التفسير والبيان)، الثالث (صرف اللفظ عن ظاهره، وفي هذا الصرف ضوابط يتحدد معها نوع التأويل)¹.

وهذا يقود إلى معنى إرادة الوصول باللفظ إلى ما يطابق معنى مقصودا على أساس الظن الغالب، وما يوفق فيه المؤول بعد التدبر والتمحيص، إن هذا المعنى قد يشمل المعاني السابقة كونه أكبر دقة، ذلك أن حمل الكلام على معنى يغير لفظه، تعيين لما ينتهي إليه عند المؤول، ويعتقد أنه الأصل الذي يجب أن يؤخذ به فيه².

من خلال توضيح الدلالات التي تحرك في إطارها مفهوم التأويل، كما أورده الناقد تكشف لنا الأصول التي بنى عليها فهمه لهذا المصطلح سواء في دلالاته اللغوية أم الشرعية، وهذا بمعنى أن الناقد قد استلهم في كتابته هذه المنابع المذكورة حتى يضيء على بحثه طابع النظرة الموضوعية والشمولية قدر الإمكان.

علاوة على أن الناقد قد أورد هذا المصطلح في دلالاته العربية للمصطلح أن نقف عندها، وتتجلى أوجه الفهم المزدوج لهذا الاصطلاح والشائج التي يرى الناقد أنها تجمع المصطلحين إن كانت هناك وشائج أو الحوادث المرتبطة بالحديث النبوي الشريف وهو التحصيل الدلالي الذي يتوقف فيه المتعلم عند حدود المعرفة والفهم للتطبيق من جهة التعبد والعلم من جهة التمييز³.

لقد تحول الحديث في التأويل إلى زاويتين أولاهما زاوية التفسير بمعنى الشرح والبيان والإيضاح والثانية زاوية التأويل بمفهوم صرف اللفظ عن معناه الطبيعي...⁴

¹ أحمد مداس، النص والتأويل، منشورات مخبر وحدة التكوين والبحث في نظريات القراءة ومناهجها، جامعة بسكرة، ط1، 2010، ص 47.

² المرجع نفسه، ص 47-48.

³ المرجع نفسه، ص 48.

⁴ المرجع نفسه، ص 49.

وإذا تتبعنا المدونة من جهة توظيف المصطلحات التي ترتبط بمصطلح بحثنا أي النص نجد أن الناقد قد اعتمد إلى حد كبير على جهود علماء الأصول وعلى وجه التحديد علماء السنة أمثال الشافعي، والسرخسي، والشوكاني، وغيرهم وهذا في حد ذاته يدل على هذه المرجعية الأصولية السنية المذهب، ويجيب في تحليلاته التعرض إلى دلالة هذا المصطلح لبقية الفرق والمذاهب الدينية لعلماء الكلام من المعتزلة والظاهرية.

ويتبين من خلال ما سبق أن الناقد يدين للمرجعية الأصولية السنية المذهب.

رابعا : رؤية المؤلف

يبدو أن الناقد الجزائري "حسين خمري" متأثرا إلى حد بعيد بأطروحات النقد الغربي، وليس هذا تجنيا على شخصه بل إن دراستنا هي ما قادنا إلى هذه الأحكام التي قد نكون قد أصبنا في إصدارها مثلما قد نكون قد جانبنا الصواب في ذلك.

وأهم ما نسجله على هذا الناقد انتصاره الواضح والشديد إلى أطروحات الناقدة جوليا كريستيفا، والذي عمد إلى الاستشهاد بها في معظم تحليلاته و تدليلاته على المقولات التي تبناها، ويعتقد أن هذا الاستعمال المفرط ذي الدلالة الواضحة على المشرب الفكري الذي ينهل منه الناقد ليس استعمالا بريئا بل يدل دلالة واضحة على إيمانه بأفكار هذه الناقدة ذات التوجه الماركسي المادي الأصول، ونساءل: ألا يعني اشتغال الناقد على أطروحات كريستيفا تأثرا واضحا بها؟ ألا يعني ذلك أن الناقد يميل إلى الفكر الماركسي كنتيجة لذلك؟.

كما نلاحظ اعتماد الناقد وبشكل موسع على أبحاث و دراسات "فان دايك" وقد لمسنا قناعته الواضحة بجهود هذا الباحث الذي ارتبط اسمه بعلم النص، لكن ما يبدو أن حضور شخص هذا الباحث - ونعني فان دايك - شكل حضورا مهيمنا على أسلوب وطريقة وفكر الناقد وإن كان ذلك قد يعلله البعض باعتماد المنهجية العلمية إلا أن هذا لا يقدم له حكم البراءة التام من تهمة استلهامه لفكر هذا الباحث والتي تكاد تكون تعليقاته وتصوراته تجسيدا لأفكار فان دايك عن النص وما يتعلق به كموضوع للبحث. ولعل هذا ما قد يؤدي إلى إلغاء الجهد الشخصي للباحث.

أما ما توصلت إليه من خلال فحص الشبكة المصطلحية الواسعة التي وظفها الناقد حسين خمري فإنني أسجل عليه التوظيف الواسع لمصطلحات النقد البنيوي و التفكيكي واللساني وقد بينت سابقا ما لهذه التوجهات النقدية من آثار بحكم خلفياتها على فكر الناقد وعلى العملية النقدية في حد ذاتها.

والناقد نفسه هو من تحدث عن السياق الذي يحدد فهمنا للموضوعات والقضايا والمصطلحات، وهذا في حد ذاته موضع للتساؤل حول مدى موضوعية الناقد في دراسته؟.

و إذا كان هذا ما استطعنا أن نخلص إليه عبر هذه الدراسة المصطلحية ولخلفياتها المتعددة فإن الموضوعية العلمية تقتضي منا الاعتراف بحق من له الحق والتتويه بهذه الدراسة الموسومة بنظرية النص للناقد خمري حسين؛ وعليه يمكن القول إنني لمست في هذه المدونة جهدا علميا رصينا مؤسسا، ينم عن نظرة تقترب من الموضوعية لموضوع بحثه كما ينم عن مدى قدرة الناقد على التحكم في أدواته المنهجية في مقارنة القضايا التي تناولها التحليل ذو الطابع العلمي الشمولي، والذي يتسم فضلا عن ذلك بالدقة والابتعاد عن الأحكام العشوائية وغير المؤسسة.

كما لمسنا سعة و ثراء ثقافة الناقد ومدى معرفته بأصول وطبيعة موضوعه، بحيث يمكن أن يجمع بين طرحين لمفهوم النص، الأول في إطار المنظومة الثقافية العربية بتعدد مشاربها وتوجهاتها، ويبدو ذلك جليا في استلهامه أطروحات علم النص مع "فان دايك" المؤسس الحقيقي لهذا العلم، هذا من جهة، ومن جهة أخرى إتمام الرؤية البحثية من خلال تناول هذا المفهوم أن النص في إطار الثقافة العربية سواء في نسقها الأصولي أم الأدبي، وبهذا اكتملت لديه الرؤية الشمولية ومقتضيات البحث العلمي الرصين الذي لا يدين إلا إلى الموضوعية القائمة على معالجة الظواهر في واقعها وتتبعها في عملية استقرائية قصد الكشف عن عللها ومتعلقاتها، وعلى الرغم مما سجلناه على الناقد من أحكام إلا أنها تبقى مجرد أحكام تبدو في نظرنا ذات طابع محكم وموضوعي.

خاتمة

في خاتمة هذا البحث الذي تطرقنا له يتبين لنا ما سبق ذكره في المحطات التي توقفنا عندها، أن الدراسة المصطلحية تتطلب من الباحث أن يكون أكثر مراسا ودراية بأصول هذه الدراسة .

وفي آخر هذا العمل حاول البحث الوصول إلى مجموعة من النتائج يمكن أن أخصها فيما يلي :

1/ أن البحث يتميز بطاقة منهجية ومعرفية كبيرة هي بلا شك دليل على سعة ثقافة الناقد ومدى اطلاعه واحاطته بالمنجز المعرفي العربي والغربي على السواء وهذا على كافة الأصعدة اللسانية النقدية.

2/ لقد تعامل الناقد بروح علمية عالية وموضوعية واضحة إلا ما أمكن أن نسجله عليه في مناطق الظل من جوانب تشير من قريب أو من بعيد إلى الفكر الذي تأثر به الناقد والتصورات التي هيمنت على فكره .

3/ لقد جمع الناقد في دراسته لمصطلح النص بين التصورات والمفاهيم المتصلة بالثقافة الغربية فأتى على أغلبها وبين سياقاتها في تناول هذا المفهوم، وفي ذات الوقت نجده ينهل من الثقافة العربية وخاصة المنجز المعرفي حول مفهوم النص لدى علماء الأصول، وبهذه النظرة استطاع أن يحقق رؤية تكاملية تجمع بين التراث والمعاصرة في قراءة هذا المفهوم .

4/ لقد فتح الناقد أفق النظر النقدي على فضاء أوسع وأرحب في فهم دلالة النص من خلال حديثه عن تمظهرات الظاهرة النصية في أشكال متعددة ومتنوعة مما يفرض نفي جاهزيتها لمنهج محدد سلفا وهذا بحد ذاته فتح لباب القراءة وإعادة القراءة فيما أنجز حول الظاهرة النصية .

5/ لقد جمع الناقد حسين خمري بين مرجعيتين مختلفتين في فهم النص ويظهر ذلك من خلال تناول النص من المنظور السيميائي والتفكيكي على نحو وجود انسجام بين تصور كل منهما لمفهوم النص، في حين نجد أن النص عند السيميائيين يظل حاضرا مهما اتسع فضاء العلامة، إلا أنه عند التفكيكيين يذوب لينعدم تماما، إذ لا وجود لنص عندهم.

6/ النص في الثقافة الإسلامية مرتبط بدلالته الشرعية وهذا ما يقتضي اختلاف وتنوع آليات ومستويات تحليله ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن يقارب بوصفه نصا جماليا وهذا يعني أن ما

ينطبق على النص الأدبي أو النص بمفهومه العام في امتداد هذه الماهية لا يمكن أن ينطبق على النص في مفهومه الديني .

وتبعاً لذلك فإن أهم ما سجلناه من ملاحظات والتي رأينا أنها ستسعدنا في الوقوف على بعض ما يساعد على وضوح الرؤية حول المصطلح النقدي من خلال نظرية النص.

7/ لقد لاحظنا طغياناً واسعاً في توظيف الناقد للمصطلحات النقدية ذات السمة الحدائية وما بعد حدائته سواء في صورتها السيميائية أو التفكيكية .

8/ لقد اعتمد الناقد بشكل كبير على أطروحات جوليا كريستيفا وفان دايك وكذا بارت، فالمتفحص للمدونة يجد هيمنة واضحة لفكر الناقدة جوليا كريستيفا، وهذا ما قادنا إلى تأكيد تأثر الباحث بهذه الناقدة والمتأمل في أغلب تحليلاته أنه يجسد أفكار هذه الناقدة ذات المرجعية الماركسية .

9/ ما يصعب ذلك هو محاولة الباحث أن يفسر المنجز التراثي العربي بأنه يلتقي مع الأطروحات النقدية واللسانية والسيميائية لما بعد الحدائة خاصة فيما يتعلق بحديثه عن أفكار الجرجاني والشوكاني بأفكار جاك دريدا وهنا جاز لنا القول أنه مهما تعانقت الرؤية فإنه لا يمكن أن نغيب السياق الذي اشتقت منه هذه التصورات إذ لكل مفهوم سياق مشروط وهذا ما يدعو إلى عدم المزوجة العشوائية بين المفاهيم.

وعلى العموم فإن الدراسة المصطلحية بحاجة ماسة إلى مزيد من البحث وما هذه الدراسة إلا محاولة بسيطة لرصد واقع المصطلحات في كتاب نظرية النص لحسين خمري المذيلة بالمصطلحات النقدية ونأمل أن يوسع هذا البحث في دراسات أكاديمية أخرى، ونرجو أن نكون قد أسهمنا ولو بقليل في ترك أثر وبصمة ولو عارضة في مجال الدراسة المصطلحية وعليه فإن أصبنا فمن الله وإن أخطأنا فمن النفس و الشيطان والسلام ختام .

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش

قائمة المصادر :

01_ حسين خمري، نظرية النص (من بنية المعنى إلى سيميائية الدال)، دار العربية للعلوم ناشرون ومنشورات الاختلاف، ط1، لبنان، 2007.

قائمة المراجع :

01_ ابراهيم أحمد ملح، الخطاب النقدي وقراءة التراث نحو قراءة تكاملية، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2007.

02_ أحمد الشايب، أصول النقد الأدبي، مطبعة النهضة العربية، القاهرة، ط10، 1994.

03_ أحمد مطلوب، في المصطلح النقدي، منشورات المجمع العلمي، بغداد، (د.ط)، 2002.

04_ أحمد يوسف، القراءة النسقية ومقولاتها النقدية، دار العرب، ط1، ج 2، 2001-2002 .

05_ أنيس ابراهيم، من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط6، 1987.

06_ إميل بديع يعقوب، فقه اللّغة العربية وخصائصها، دار العلم للملايين، ط2، 1986 .

07_ توفيق الزبيدي، أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث من خلال بعض نماذجه، الدار العربية للكتاب، تونس، (د.ط)، 1984.

08_ ابن جني أو الفتح عثمان، الخصائص، تح، محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، المكتبة العلمية، (د.ط)، (دت) .

09_ جورج موان، المسائل النظرية في الترجمة، تر. لطيف زيتوني، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، ط1، 1994.

10_ حسن جاد، دراسات في النقد الأدبي، د.ط، 1977.

11_ حسن نجمي، شعرية الفضاء (المتخيل والهوية في الرواية العربية)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط 1، 2000 .

12_ خوري شحادة، دراسات في الترجمة والمصطلح والتعريب، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط1، 1919.

13_ دراقي زبير، محاضرات في فقه اللغة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1، 1992.

14_ دريد الأزدي أبي بكر محمد بن الحسن، الاشتقاق، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، منشورات مكتبة المثنى، بغداد، العراق .

15_ راغب الأصفهاني [المفردات في غريب القرآن]، مادة: أول- طبعة دار التحرير- القاهرة، 1991 .

16_ رجاء عيد، المصطلح في التراث النقدي، الناشر المعارف، الاسكندرية .

17_ رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، دار القصب، (د.ط)، 2000.

قائمة المصادر والمراجع

- 18_ رياض عثمان، تداخل المرجعيات من النحويين والبلاغيين و المفسرين (دراسة تأصيلية لنقد المنهج المرجعي) المرجعيات في النقد والأدب واللغة، مؤتمر النقد الدولي الثالث عشر، عالم الكتاب الحديث، الأردن، مج 1، مج 2، ط 1، 2010.
- 19_ الزمخشري، أساس البلاغة، قاموس عربي عربي، راجعه وقدم له :ابراهيم قلاتي، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 1998.
- 20_ سمر روجي الفيصل، المشكلة اللغوية، لبنان، 1992 .
- 21_ سمير حجازي، المتقن في معجم المصطلحات اللغوية والأدبية الحديثة، دار الراتب الجامعي، بيروت، لبنان (د.ط ، د.ت).
- 22_ سعد البازعي وميجان الرويلي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 3، 2002.
- 23_ سعد مصلوح، مشكلة العلاقة بين البلاغة والعربية الأسلوبيات اللسانية، ضمن كتاب: قراءة جديدة لتراثنا النقدي، النادي الأدبي الثقافي، جدة، ج 1، 1988.
- 24_ سعيد يقطين، الرواية والتراث السردي من أجل وعي جديد بالتراث، المركز الثقافي، الدار البيضاء، ط 1، 1992.
- 25_ سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي، (النص والسياق)، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط 2، 2001.
- 26_ سيد قطب، النقد الأدبي أصوله ومناهجه ، دار الشروق، د.ط.
- 27_ الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 4 ، 1998.
- 28_ صبحي حموي، المنجد الوسيط في العربية المعاصرة، شركة الطبع والنشر اللسانية، مؤسسة بكاش للطباعة، (د.ط)، حرف الهاء، 2003.
- 29_ صلاح فضل، انتاج الدلالة الأدبية، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 1، 1987.
- 30_ صلاح فضل، بلاغة الخطاب و علم النص، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1992 .
- 31_ عبد الله إبراهيم، التفكيك الأصول والمقولات، منشورات عبور المقالات، ط 1، 1990 .
- 32_ عبد الله إبراهيم، الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط 1، 2010م.
- 33_ عبد السلام المسدي، المصطلح النقدي، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتوزيع، تونس، 1994.
- 34_ عبد السلام المسدي، الأدب و خطاب النقد، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت – لبنان، ط 1، 2004.
- 35_ عبد السلام المسدي، قاموس اللسانيات، الدار العربية للكتاب، تونس، 1984.
- 36_ عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة (من البنيوية إلى التفكيك)، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، (د.ط)، 1998.

قائمة المصادر والمراجع

- 37_ عبد العزيز حمودة، المرايا المقعرة نحو نظرية نقدية عربية، سلسلة عالم المعرفة، (د.ط)، 2001.
- 38_ عبد الغني بارة، إشكالية تأصيل الحداثة في الخطاب النقدي العربي المعاصر، الهيئة المصرية العامة لكتاب، (د.ط)، 2005.
- 39_ عبد المالك مرتاض، في نظرية النقد، دار هومة، الجزائر، (د.ط)، 2002.
- 40_ عبد المجيد سالمى ونور الدين خالد، معجم مصطلحات علم النفس، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط1، 1998 .
- 41_ عمر أوكان، مدخل لدراسة النص والسلطة، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط1، 1994 .
- 42_ عمر عيلان، النقد العربي الجديد مقارنة بين نقد النقد، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت – لبنان، ط1، 2010.
- 43_ غنيمي هلال، الأدب المقارن، دار العودة، بيروت، 1987.
- 44_ ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان (د.ط)، (د.ت)، مادة (صلح).
- 45_ قدامة بن جعفر نقد الشعر تح محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، (د.ط)، (د.ت).
- 46_ لوسيان غولدمان وآخرون، البنيوية التكوينية والنقد الأدبي، مؤسسة الاتحاد العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1986.
- 47_ مجدى كامل وهبة، معجم المصطلحات العربية، في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، 1979.
- 48_ مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط1، 2004، ص520.
- 49_ محمد الشاوش، أصول تحلي الخطاب في النظرية النحوية العربية، منشورات دار الأمان، الرباط، ط1، 2006.
- 50_ محمد أحمد العمارة، بحوث في اللغة والتربية، دار وائل للنشر، الأردن، ط1، 2002 .
- 51_ محمد حسن عبد العزيز، المصطلحات اللغوية، تمام حسن رائدا لغويا، عبد الرحمن حسن العارف، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2002 .
- 52_ محمد مندور، في الأدب والنقد، دار النهضة، مصر، ط3، 1994.
- 53_ محمد مفتاح، المفاهيم المعالم، نحو تأويل واقعي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 1999.
- 54_ محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1991.
- 55_ محمد ديداوي، علم الترجمة بين النظرية والتطبيق، دار المعارف للطباعة والنشر، تونس، ط1، 1992.
- 56_ محمد رشاد الحمزاوي، المنهجية العامة لترجمة المصطلحات وتوحيدها وتنميطها(الميدان العربي)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1986.

- 57_ محمد عزام، النص الغائب (تجليات التناسخ في الشعر العربي)، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001.
- 58_ محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط3، 1964.
- 59_ محمود فهمي حجازي، الأسس اللغوية لعلم المصطلح، دار غريب لطباعة والنشر والتوزيع، (د.ط)، (د.ت).
- 60_ ابن منظور جمال الدين أبو الفضل، لسان العرب، دار صادر، بيروت، مج1، 1990.
- 61_ نازل معوض أحمد، التعريب والقومية العربية في المغرب العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة الثقافة القومية (6)، بيروت، 1986 .
- 62_ نصر حامد أبو زيد وسيزا قاسم، مدخل إلى أنظمة العلامات، دار إلياس، القاهرة، 1988 .
- 63_ وهب أحمد رومية، شعرنا القديم والنقد الجديد، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، (د.ط)، 1996.
- 64_ يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط1، 2008.
- 65_ يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة الأولى، 1428 هـ_ 2007 م.
- ثانيا : باللغة الفرنسية

01_ Julia Kristeva : La Révolution du langage poétique, Edition du Seuil, 1974.

3/ المجالات:

- 01_ شكري عزيز الماضي، ما بعد البنيوية، حول مفهوم التناسخ، مجلة المعرفة السورية، إصدارات وزارة الثقافة السورية، دمشق، ع353، 1993، ص 98،99، وينظر كذلك صبري حافظ، التناسخ وإشكاليات العمل الأدبي، مجلة ألف، البلاغة المقارنة، من إصدارات قسم الأدب الانجليزي والمقارن، الجمعة الأمريكية، القاهرة، ع04، 1984.
- 02_ عبد الرحمن الحاج صالح، المعجم العربي والاستعمال الحقيقي للغة العربية، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، المجمع الجزائري للغة العربية، ع1، 2005، (الهامش رقم "7").
- 03_ محمد اليعلاوي، ملاحظات حول الخطة القومية للترجمة، المجلة العربية للثقافة، ع 33، 1997 .
- 04_ محمد بونس علي "أصول اتجاهات المدارس اللسانية الحديثة"، عالم الفكر، ع 1، مج 32، المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، يوليو/ سبتمبر 2003.
- 05_ مركز الدراسات النفسية والتفسيّة- الجسدية، السيكولوجيا و الأنثروبولوجيا الثقافية، مجلة الثقافة النفسية المتخصصة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، مج 10، ع 39 و40، 1999 .
- 06_ منذر عياشي، (النص ممارساته وتجلياته)، مجلة الفكر العربي المعاصر، ع 96-97، 1992.
- 07_ يحي أحمد، الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، عالم الفكر، الكويت، مج 20، ع 3، ديسمبر 1989.
- المواقع الالكترونية :

01_ www. Wikipdia. Org.espace étude semantique/ définition.

الفهرس

مقدمة.....	أ،ب، ج
مدخل : الناقد وكتابه	5
أولا : التعريف بالناقد حسين خمري.....	5
ثانيا : التعريف بالكتاب.....	9-5
ثالثا : تلخيص الكتاب.....	24-9
الفصل الأول : المصطلح النقدي " المفهوم، النشأة، الآفاق".....	26
أولا : المصطلح النقدي	26
1/ مفهوم المصطلح لغة واصطلاحا	26
2/ مفهوم النقد لغة واصطلاحا.....	28
3/ مفهوم المصطلح النقدي.....	30
ثانيا : نشأة المصطلح النقدي.....	30
ثالثا : الخفيات التأسيسية للمصطلح النقدي.....	31
رابعا : آليات ومراحل صياغة المصطلح النقدي.....	32
خامسا : وظائف المصطلح النقدي.....	40
سادسا : إشكالية المصطلح النقدي وجهود الباحثين العرب في الحد من الاشكالية.....	41
الفصل الثاني: المصطلح النقدي من خلال كتاب نظرية النص لحسين خمري.....	49
أولا : مصطلح النص " الدلالة والمفهوم من خلال المدونة".....	49
ثانيا : علاقة مصطلح النص بالمصطلحات الأخرى في المدونة	55
ثالثا : مصطلح النص ومرجعياته.....	70

84.....	رابعاً : رؤية المؤلف
87.....	خاتمة
90.....	قائمة المصادر والمراجع
95.....	الفهرس

المُلخَص

المصطلح النقدي من خلال كتاب نظرية النص لحسين خمري

الملخص

تهدف هذه الدراسة المصطلحية إلى معالجة أبرز الإشكاليات التي يواجهها الدارس في الفكر العربي المعاصر في المجال النقدي على وجه الخصوص كيفية تداول المصطلحات النقدية وأعمالها في النصوص وذلك من خلال قراءة مصطلحية في مدونة حديثة لناقد جزائري والموسومة بالمصطلح النقدي من خلال نظرية النص لحسين خمري .

كما توصلت هذه الدراسة إلى رسم الحدود وضبطها وتوضيح الإطار الذي تتحرك فيه المصطلحات النقدية كاشفة عن الروح التي تسكن مصطلح النص، وذلك من خلال خطة تضمنت مدخلا وفصلين فتناولت في الفصل الأول المصطلح النقدي، المفهوم، النشأة والآفاق حيث وقفت فيه على مفهوم المصطلح النقدي وكذا الخلفيات التأسيسية له، كما أشرت فيه على بعض الحلول والمقترحات للحد من هذه الإشكالية .

أما الفصل الثاني فقد خصصته لدراسة المصطلح النقدي من خلال كتاب نظرية النص لحسين خمري حيث حاولت فيه اعطاء صورة متكاملة عن مصطلح النص كما ركزت فيه على علاقته مع المصطلحات الأخرى، وكذا مرجعياته .

وقد خلصت في النهاية إلى جملة من النتائج والملاحظات .

Résumé

Cette étude terminologique vise à traiter les problématiques caractéristiques qui rencontrent le chercheur à la pensée arabe moderne au domaine de la critique , et particulièrement la méthode de la manipulation des termes critiques et leurs rôles aux textes au moyen d'une lecture écrite par un critique algérien , elle a pris le nom de " le terme critique à partir de la théorie du texte de Houssin KHOUMRI.

Encore , cette étude a un but d'identifier les critères et de montrer le domaine des termes critiques qui permettent de saisir le sens du texte, On fait partager le travail à une préface et deux chapitres , dont le premier traite le terme critique comme un concept , puis l'origine et les projets, à savoir , la définition du terme "critique" , ensuite , sa fondation et enfin quelques propositions des solutions pour la problématique.

Le deuxième chapitre est consacré à l'étude du terme critique à la lumière du livre " théorie du texte" de Houssin KHOUMRI , par lequel , on fait essayer de montrer une idée parfaite sur le terme du texte . En plus , on concentre sur la relation du terme avec les autres et aussi ses origines.

Finalement, on obtient quelques résultats et quelques remarques.

ترجمد الله